المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم
العدد (2202) - السنة (56) شوال 1446هـ/ 1 إبريل 2025م

السياسة الشرعية في التعاون مع المخالف

الكويت 750 فلساً. السعودية 10 ريالات. البحرين دينار بحريني. قطر 10 ريالات. سلطنة عمان ريال عماني. الأردن 1.750 دينار أردني. لبنان 4500 ليرة. المغرب 23 درهماً
USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

47

إصلاح
1963

فرصة

لعشاق العلم والمعرفة

47
معرض الكتاب الإسلامي

إصدارات فكرية وإنسانية، فعاليات علمية وثقافية،
منصة إلكترونية تفاعلية

تحت شعار

نحو وعي حضاري

من 21 أبريل وحتى 3 مايو 2025

الروضة - قطعة 3

للتواصل والاستفسار: 97228290

بانتظاركم

الأعداد الورقية والإصدارات

قريباً على بوابة المجتمع

موقع
استشارات المجتمع

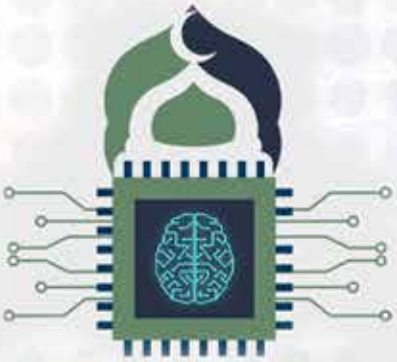

المحتوى الإسلامي
بالذكاء الاصطناعي

موقع أرشيف
مجلة المجتمع

العدد (٢٢٠٢) - السنة (٥٦)

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

إسلامية شهرية

تأسست عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م
جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى ١٤٢٧/٨/١٠ هـ - ٢٠٠٦/٩/٣ م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:
سالم القحطاني

مدير التحرير:
جمال الشرقاوي

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات:

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة. الرمز البريدي (١٣٠٤٩)

التحرير
٢٢٥١٤١٨٠ - ٢٢٥١٩٥٣٩
٢٢٥١٣٦١٦ (داخلي ٢٠٥).
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع
تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٣ (٠٠٩٦٥)
sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني
www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com

في هذا العدد:

السياسة الشرعية في التعاون مع المخالف

الكويت تبني الأمل.. حملة شعبية لإعادة إعمار مستشفى النصر للأطفال في غزة 6
قواعد شرعية وأجوبة واقعية عن علاقة «حماس» بإيران 9
الخلاف المذهبي وأثره على التحالفات في سياق المقاومة الإسلامية 12
حكم الاستعانة في القتال بغير المسلمين والمسلمين المخالفين 14
كيف السبيل إلى ترشيد فتاوى النوازل السياسية؟ 20
العلماء والجهاد.. «طوفان الأقصى» نموذجا 22
بعد اتفاق التهدئة.. الأسباب الحقيقية لعودة الحرب على غزة 40
هل تنجح سورية في إجهاض مخطط الصهاينة بإنشاء دويلة درزية؟ 46
رحيل الشيخ أبي إسحق الحويني.. وداعاً لعالم الحديث 59
باب الطفل المسلم: ما تبقى من رمضان في قلبي خالد وحنان! 65

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

سورة المائدة

رأي المجتمع

المقاومة.. بين التخاذل والتخذيل

إن لبني إسرائيل تاريخاً طويلاً في نقض العهود، والمواثيق، فنقض العهود سلوك متأصل فيهم، كما شهدت آيات القرآن الكريم، على نقضهم المتكرر للمواثيق والعهود، فقال تعالى: (أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (البقرة: ١٠٠). فالتاريخ القديم شاهد على أن بني إسرائيل قوم لا يلتزمون بعهودهم، ولا يقيمون للمواثيق وزناً. والتاريخ الحديث شاهد على أن خيانة الصهاينة للعهود سمة ثابتة في تاريخهم السياسي والعسكري، حيث نقضوا العديد من الاتفاقيات والوعود التي قطعوها مع الفلسطينيين والعرب والمجتمع الدولي. والآن على أرض غزة والضفة الغربية، تتجدد هذه الخيانة والغدر، ويتجدد نقضهم لعهدهم مع حركة المقاومة الإسلامية (حماس) بالهدنة، مؤكدين بذلك أنهم ماضون على درب أجدادهم. وهذا الغدر والتلاعب الصهيوني ما كان له أن يتم لو أنهم وجدوا من يتصدى لهم بمواقف قوية، من الدول العربية والإسلامية، ناهيك عن المجتمع الدولي ومجلس الأمن، وجميع المنظمات الدولية التي اتضح تواطؤها مع الكيان الصهيوني النازي المجرم. ألا تحرك كل هذه الدماء الضمائر، وتهز القلوب، وتؤجج المشاعر الإسلامية لتتحرك الجامعة العربية ومنظمة التعاون الإسلامي، للضغط على الكيان الصهيوني لوقف العدوان، وفتح معبر رفح، والكف عن المشاركة في حصار الشعب الفلسطيني؟! إنها مسؤولية تاريخية سيحاسبنا الله تعالى عليها يوم القيامة.. كما أن التاريخ لا يرحم! وما لم يتحرك المسلمون بجدية لنصرة إخوانهم، فسنجد أنفسنا جميعاً في مواجهة العدو ذاته، الذي لا يعرف إلا لغة القوة. وفي ظل هذا التخاذل للعالم الإسلامي، ظهرت خطابات شرعية ودعوية من علماء ودعاة بارزين نالت من المقاومة وقيادتها، ونالت من ثوابتها، لما يشهده الواقع السياسي والعسكري من تحالفات فرضتها ظروف الحصار واجتماع الصهيونية العالمية على إبادة القضية الفلسطينية، وباتت تلك الآراء محل تساؤلات لأفراد الشارع العربي والإسلامي، وأصبح السؤال يتكرر: هل التحالفات السياسية يبنى عليها انحرافات عقدية أو فكرية؟ وكان لا بد لـ"المجتمع" أن تفتح هذا الملف مع نخبة متخصصة في السياسة الشرعية لتؤصل عدة مفاهيم غائبة. ■

وكلاء التوزيع

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت: ٢٢٢٧٢٧٣٣ ف: ٢٢٢٧٢٧٣٦
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض
٠٠٩٦٦١٢١٢٨٠٠٠
فرع الرياض: ٠٠٩٦٦١٢٧٠٥٨٣٧
فرع جدة: ٠٠٩٦٦٢٦٥٣٠٩٠٩
فرع الدمام: ٠٠٩٦٦٣٨٤٧٣٥٦٩

قطر:
دار الثقافة ت: ٤٦٢٢١٨٢ / ف: ٤٦٢١٨٠٠

البحرين:
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت: ٧٢٥١١١ / ف: ٧٢٣٧٦٣

TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM

الإعلانات

امتياز الإعلان: مجلة المجتمع
ت: ٢٢٥٦٠٥٢٥ - ٢٢٥٦٠٥٢٦ الكويت.

الكويت تبني الأمل.. حملة شعبية لإعادة إعمـــار مستشفى النصر للأطفال في غزة

كتب ـ المحرر المحلي:

وسط مشهد قاتم فرضه العدوان «الإسرائيلي» على قطاع غزة، الذي استهدف الإنسان والحجر، دمرت آلة الحرب مستشفى النصر للأطفال، تاركة آلاف المرضى الصغار بلا رعاية، وسط منظومة صحية تنهار تحت وطأة القصف والحصار.

وفي مواجهة هذا الواقع المرير، أطلقت الجمعية الكويتية للإغاثة حملة خيرية لإعادة بناء المستشفى، وجمعت خلال أيام قليلة ١٠ ملايين دولار، في واحدة من أسرع حملات التضامن وأكثرها تأثيراً.

وأكد المشرف العام على الحملة عمر الثويني أن الحملة التي انطلقت يوم ١٠ مارس ٢٠٢٥م، استطاعت تحقيق هدفها بحلول ١٣ من نفس الشهر، بفضل التفاعل الشعبي الهائل؛ ما يعكس عمق التزام الكويت؛ قيادة وشعباً بدعم القضية الفلسطينية، وخصوصاً القطاع الصحي الذي يعاني نقصاً حاداً في الموارد الطبية.

مستشفى النصر.. صرح طبي يعاد بناؤه ليخدم أطفال غزة:

كان مستشفى النصر للأطفال قبل تدميره منارة أمل للأطفال المرضى في غزة، إذ قدم خدماته لأكثر من ٩٥ ألف طفل سنوياً، لكن الاحتلال أصرّ على استهدافه في نوفمبر ٢٠٢٤م، ليحرم الآلاف من الرعاية الصحية الأساسية.

واليوم، بفضل هذه الحملة، سيتم تشييد المستشفى على مساحة ١٠ آلاف متر مربع، ليصبح قادراً على تقديم خدماته لأكثر من ١٦٥ ألف طفل سنوياً، بالإضافة إلى رعاية ٣٥٠ ألف شخص من مختلف الفئات.

وفي هذا الصدد، قال رئيس مجلس إدارة الجمعية الكويتية للإغاثة، د. إبراهيم الصالح: حملة مستشفى النصر للأطفال تمثل نموذجاً مشرفاً للعمل الشعبي الإنساني، حيث جاءت بجهود أهل الخير في الكويت، وبرعاية وزارة الشؤون الاجتماعية، وبتنسيق كامل مع وزارة الصحة الفلسطينية، وجمعية فلسطين الغد، وتحت إشراف وزارة الخارجية الكويتية.

تفاصيل المشروع.. منظومة طبية متكاملة لخدمة الأطفال

يحتوي المستشفى على ٢٢٨ سريراً طبياً بنسبة إشغال متوقعة تصل إلى ٦٠٪ عند الافتتاح، وأقسام متكاملة تشمل: الإسعاف والطوارئ، والعيادات الخارجية، ومركز غسل الكلى، وأقسام العمليات الجراحية والعناية المركزة، وحضانات الأطفال والخدمات المساندة، ومساحات خارجية مخصصة لخدمة المرضى وذويهم.

وأوضح الثويني أن المشروع سيساهم في تعزيز القطاع الصحي المنهك، عبر توفير رعاية طبية حديثة للأطفال، في وقت يواجه فيه القطاع نقصاً كارثياً في الخدمات الصحية.

وأضاف: هذه الحملة ليست فقط بناء لمستشفى، بل استعادة للحياة والأمل للأطفال المرضى في غزة، الذين حرمهم الاحتلال حتى من أبسط حقوقهم الإنسانية.

وقد حظيت الحملة بتفاعل استثنائي على منصات التواصل الاجتماعي، حيث شارك العديد من المشاهير والمؤثرين العرب في دعم

المشروع؛ ما ساهم في تسريع جمع التبرعات.

كما تم توفير عدة وسائل دفع إلكترونية، لضمان وصول التبرعات بسرعة؛ ما جعل الحملة نموذجاً للعمل الإنساني الفعّال والمبتكر، الذي استطاع تحقيق هدفه في أيام قليلة.

إشادة فلسطينية.. والمستشفى ضرورة ملحة للقطاع الصحي

من جانبه، أكد وكيل وزارة الصحة الفلسطينية في غزة د. يوسف أبو الريش أن مستشفى النصر للأطفال كان أحد أهم المرافق الصحية المتخصصة، وتدميره أدى إلى نقص حاد في الخدمات الطبية للأطفال.

وفي مقطع فيديو نشرته وزارة الصحة الفلسطينية، شدد أبو الريش على أن إعادة بناء المستشفى تأتي ضمن خطة شاملة لإعادة إعمار القطاع الصحي، وبالتنسيق الكامل مع الجهات المختصة في فلسطين والكويت.

هذا، وقد ثمن رئيس المكتب الإعلامي الحكومي في غزة سلامة عمر معروف المبادرة الأهلية والشعبية الرائدة التي أطلقتها الجمعية الكويتية للإغاثة، لإعادة إعمار مستشفى النصر للأطفال، ونوجه تحية تقدير لكل الجهود التي ساهمت في إنجاح هذه الحملة وتحقيق هدفها الإنساني النبيل.

وأضاف أن النجاح الباهر للحملة في جمع ١٠ ملايين دولار خلال أيام قليلة، يعكس التضامن العميق والتفاعل الكبير من أبناء أمتنا العربية والإسلامية وأحرار العالم، الذين يتلهفون دوماً للوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني، وتقديم العون لتخفيف معاناته، وإعادة الأمل ورسم الابتسامة على وجوه أطفال غزة المرضى.

وتابع: نرحب بكل جهد شعبي وإنساني يهدف إلى تقديم الدعم والمساهمة في تخفيف آثار العدوان، وندعو إلى تنسيق هذه الجهود مع المؤسسات الحكومية ذات الصلة، لضمان تحقيق أقصى فاعلية في إيصال المساعدات إلى الفئات الأشد احتياجاً والأكثر تضرراً، وتعزيز أثرها الإغاثي والإنساني.

وأكد معروف أن المبادرات المجتمعية والفردية أدت دوراً محورياً خلال العدوان، وأسهمت في التخفيف عن المواطنين والاستجابة لاحتياجات عاجلة، إلا أن حجم الدمار والمعاناة يفوق إمكانات أي مبادرة منفردة؛ ما يستدعي تبني خطة إعادة إعمار شاملة بدعم إقليمي ودولي، لضمان تلبية الاحتياجات الإنسانية الهائلة التي خلفتها الحرب.

ودعا المجتمع الدولي إلى الإسراع في عقد مؤتمر دولي لإعادة إعمار غزة والشروع فوراً في تنفيذ الخطة العربية بمراحلها المختلفة، لا سيما مرحلة الإنعاش المبكر والإغاثة العاجلة، عبر توفير المأوى المؤقت لنحو ٣٠٠ ألف أسرة فقدت منازلها.

كما أكد ضرورة رفع الحصار عن قطاع غزة فوراً، وفتح كافة المعابر، والضغط لإدخال الاحتياجات الإنسانية والمستلزمات المعيشية الأساسية، لتمكين أهلنا من استعادة حياتهم الكريمة، والحد من التداعيات الكارثية للعدوان المستمر على القطاع.

الكويت.. ريادة إنسانية مستمرة في دعم فلسطين

لم تكن هذه الحملة جهداً عابراً، بل امتداد لموقف الكويت الثابت في دعم القضية الفلسطينية، سواء على المستوى السياسي أو الإنساني.

وأكد الثويني أن الكويت كانت وما زالت في طليعة الداعمين للشعب الفلسطيني، وحملة مستشفى النصر للأطفال استمرار لهذا النهج المبارك، الذي يجسد التزامنا تجاه إخواننا في غزة.

فعادة إعمار مستشفى النصر للأطفال ليست مجرد مشروع طبي، بل رسالة إنسانية قوية، تؤكد أن الشعوب الحرة لا تنسى أهل غزة، وأن الأمل يمكن أن يولد من بين الركام، بفضل أيادي الخير التي تمد يد العون لمن يحتاجها ■

معطر الغرف 300 ملي - أودي برفيوم 100 ملي - معطر الجو 1000 ملي

الشايع
منذ SINCE 1928
الشايع للعطور
AL SHAYA PERFUMES
www.alshayaperfumes.com
@alshayaperfumes

أنتم في قلوبنا..

خليفة الهاجري العربي الدؤوب المحب للخير

مكتب الوفاء – عادل العصفور:

كان يرحمه الله باراً بوالديه، واصلاً للرحم، ومربياً دؤوباً، ومحباً للخير، إنه خليفة مفرح صبري الهاجري.

الولادة والنشأة:

ولد في ٢٢ صفر ١٣٩٦هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٩٧٦م، ونشأ وترعرع في منطقة الصليبيخات، وتزوج ورزق بماريا، وعلي.

الدراسة:

درس الابتدائية في مدرسة عبدالعزيز العتيقي، والمتوسطة في مدرسة الصليبيخات، والثانوية السنة الأولى في مدرسة الأوزاعي، ثم انتقل إلى المعهد الديني بقرطبة، والتحق بعد التخرج بكلية الدراسات التجارية.

بره بوالديه:

كان يرحمه الله باراً بوالديه، يقضي لهما كثيراً من المهمات، وكلما أراد والده أو والدته الذهاب إلى أي مكان، كان هو المبادر في ذلك رغم أشغاله وأعماله.

من خصاله الجميلة صلة الأرحام فقد كان يحدد بضع ساعات يتصل فيها بالكبير والصغير للسؤال عنهم وعن صحتهم.

دوره الدعوي:

وعلى صعيد العمل الدعوي، فقد كان عاملاً دؤوباً ومربياً لإخوانه، نصوحاً محباً للخير لهم، حتى إنه يشتد عليهم أحياناً، والعجيب أنه مع هذه الشدة والمتابعة الدقيقة تجد أن محبة إخوانه له تزداد، وهذا لا يحدث مع كثير من المربين والدعاة.

وكان محباً للتجديد والإبداع في كل عمل، وإذا كلف بعمل أتقنه، حريصاً على الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع في جميع المجالات، وهذه الهمة في الدعوة لم تقف عند باب الوظيفة والدعوة المجتمعية، بل كان له تركيز حتى في قبيلته وعائلته، فعلى مستوى العائلة الصغيرة كان حريصاً على ترتيب وتنظيم أمورها دعوياً واجتماعياً، وحتى في شؤونها المالية الخاصة، أما على مستوى القبيلة فقد كان حريصاً على جمع القلوب ومعالجة ما يحدث من منازعات وخصومات.

ومما يحسب له مع إخوانه عمل دورات رياضية سنوية على مستوى القبيلة كان لها صدى وقبول لدى الجميع، حتى بين أصدقائه الخاصين في مجالسهم اليومية الاعتيادية كانت له بصمة بينهم تتمثل بإشرافه على درس علمي وتربوي أسبوعي لهم أحياناً يلقيه بنفسه عليهم.

أبرز صفاته:

١- حب العمل والإنتاجية فيه: سواء كان في عمله الوظيفي أو الدعوي أو العائلي، وحتى بين أصدقائه، ففي عمله الوظيفي كانت هذه الصفة متمثلة في حملات نفائس التابعة لوزارة الأوقاف، التي كان المشرف الدائم عليها، وكانت تأخذ منه الوقت الكثير حتى خارج وقت العمل، وقد شارك في كثير من المؤتمرات والمعارض داخل البلد وخارجه؛ ما كان له الأثر الكبير في نجاح هذا العمل، الذي جعل من الكويت قبلة لكثير من البلدان، لأخذ هذه التجربة الإعلامية الثرية.

٢- قضاء حوائج المحتاجين: كان كثيراً ما يبذل نفسه ووقته لقضاء حوائج إخوانه، وكشف كربهم، وسد عوزهم.

٣- الجود والإنفاق: كان محباً للإنفاق سباقاً في كل مشروع خيري.

٤- الصبر على البلاء: كان عند البلاء من الصابرين المحتسبين، ومن صور صبره على البلاء ما تعرض له من فشل كلوي في عام ٢٠١٢م، وكان يتردد على المستشفى ٣ مرات أسبوعياً لغسيل الكلى حتى أعانه الله بعملية الزراعة.

٥- حبه للعلم: كان من صغره حريصاً على العلم، وفي مقدمته القرآن الكريم، حتى حفظ قريباً من ٢٥ جزءاً، وكان مواظباً على الدروس الشرعية.

٦- الروح المرحة: من أبرز ما تميز به روحه الخفيفة والمرحة، كان يمزح مع إخوانه كثيراً حتى غلب ذلك عليه، وكان يأخذ ذلك من باب إدخال السرور على إخوانه.

الوفاة:

توفي في ١٣ رمضان ١٤٤٢هـ/ ٢٥ أبريل ٢٠٢١م.■

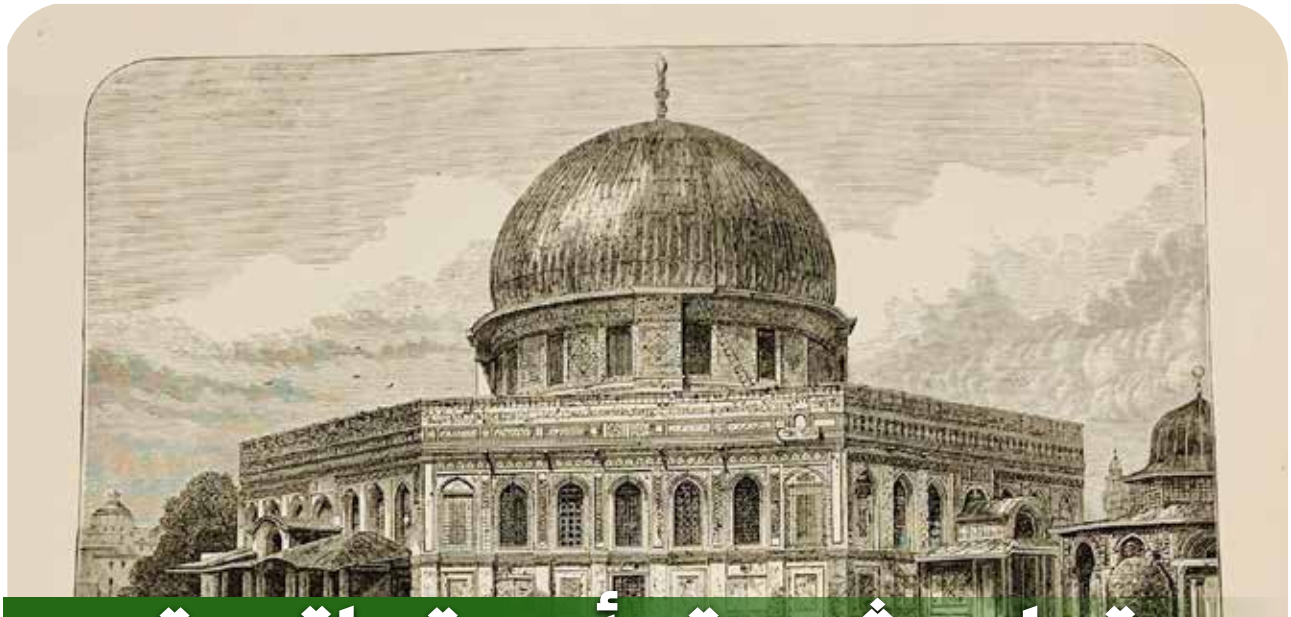

قواعد شرعية وأجوبة واقعية عن علاقـــة «حماس» بإيران

د. محمد عبدالله المطر
باحث في الفكر الإسلامي

تتكرر أحاديث حول إشكالية التعامل بين حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وإيران ومن في فلكها، ولعل أكثر ما يعقد الحديث عن هذا الموضوع ويضعفه هو الحديث العاطفي وردود الفعل المشاعرية التي تتزامن مع ضعف الأدلة والموضوعية العلمية، والتناقضات خاصة لمن عندهم قبول أو رضا لجهات ودول معينة، وهذا التوجه هو ما يضع الحجاب حول حقيقة هذه القضية التي يجب أن نتعامل معها وفقاً للقواعد الشرعية والمنطقية في الميزان والضابط، وربط مفاهيم مثل الولاء والبراء والانحراف العقدي والمنهجي؛ لذلك قبل التنظير لهذه القضية يحسن بنا في البداية كما عند أهل العلم والمعرفة وضع القاعدة الجوهرية «الحكم على الشيء فرع عن تصوره» حتى يصبح التطبيق العملي على أساس متين.

أولاً: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»:

١- بمعنى ما يتوقف عليه حصول الواجب الشرعي فيأخذ حكم الواجب، وأوضح العلماء: أن الوسائل تأخذ حكم المقاصد، فإذا كان أداء الواجب يعتمد على تحقيق وسيلة معينة، فإن هذه الوسيلة تصبح واجبة، وأيضاً الإمام ابن قدامة المقدسي الحنبلي، في كتابه «المغني»، ناقش هذه القاعدة وأوضح أنها من القواعد الضرورية التي يُبنى عليها كثير من أحكام الفقه، خاصة في الأمور التي تتطلب وسائط لتحقيق الغايات الشرعية، وكذلك فعل علماء الأمة.

٢- فلا شك أن حماية ديار الإسلام من المحتل ومقاومته، وحماية أرض المسلمين وأرواحهم وأموالهم من الواجبات، قال تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (البقرة: ١٩٠)، وقال ابن تيمية: وإذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب؛ إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة؛ فيتعين الوجوب على أهل الأرض وغيرهم حسب الواقع والحاجة، ولا شك أن الحاجة متحققة.

ثانياً: قاعدة «الضرورات تبيح المحظورات»:

١- أي تجيز هذه الضرورة والحاجة الملحة فعل المحظور-إن وجد- ففي قوله تعالى: (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) (البقرة: ١٧٣)، فيقول الشيخ عبدالرحمن السعدي: وفي هذه الآية دليل على القاعدة المشهورة: الضرورات تبيح المحظورات؛ فكل محظور اضطر إليه الإنسان فقد أباحه

حماية ديار الإسلام من المحتل ومقاومته وحماية المسلمين وأرواحهم وأموالهم من الواجبات

له الملك الرحمن.

٢- التطبيق على علاقة «حماس» وإيران: «حماس» تعيش تحت حصار كبير، وكذلك لا يخفى أنها تعاني من نقصٍ السلاحٍ والتمويل، وإيران قدمت دعماً عسكرياً كبيراً لمقاومة الاحتلال الصهيوني، وبالمقابل لا تتوفر البدائل التي لها الأولوية مثل البدائل الإسلامية والعربية، فهنا تصبح «حماس» في حالة ضرورة.

ثالثاً: قياس الأولى على «جواز الاستعانة بالكفار والفاسقين عند الحاجة»:

١- فإن كانت الاستعانة بالكفار والفاسقين جائزة، فهي على قاعدة قياس الأولى جائزة أيضاً وأولى، فالأصل في إيران أنها دولة مسلمة كما سيأتي تفصيله.

٢- ومن الأدلة الصريحة من باب قياس الأولى على المشرك أن النبي صلى الله عليه وسلم استعان بالمشركين في بعض المواقف العسكرية، منها: استعان بعبدالله بن أريقط (مشرك) كدليل في طريق الهجرة، رغم خطورة الموقف فقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: «يجوز الاستعانة بالمشركين إذا كان في ذلك مصلحة راجحة»، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم تحالف مع قبائل مشركة مثل بني خزاعة ضد قريش، رغم كونهم غير مسلمين، وقد جاء في السيرة النبوية أن خزاعة دخلت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية وكانوا حلفاء له في مواجهة قريش، وغيرها من الأدلة.

٣- إيران تتبنى المذهب الشيعي، وبعيداً عن جرائمها وأطماعها التوسعية ومشروعها، فهذا لا نقاش في كوارثه، ولكن من ناحية الحكم الشرعي لا يصح الحكم بكفر أي مسلم سواء من السُّنة أو الشيعة مطلقاً حتى تتحقق الشروط وتنتفي الموانع، ومنها إقامة الحجة، والأمر المعلوم من الدين بالضرورة، وعدم التأويل، ولم يكفر الشيعة مطلقاً شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن المعاصرين الشيخ الألباني رحمه الله.

رابعاً: قاعدة «ارتكاب أخف الضررين»:

١- ومعناها أنه بوجود أكثر من ضرر فمن الممكن أن يرتكب الإنسان أخفهما، وهي متفرعة من قاعدة الضرورة، فقد قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (البقرة: ٢١٧)، ويبين الإمام ابن القيم، في كتابه «أعلام الموقعين عن رب العالمين»، أن «الضرر الأشد يُزال بالضرر الأخف»، فهو وضح أن الشريعة مبنية على درء المفاسد وجلب المصالح، فإذا تعارضت مفسدتان، تُرتكب الصغرى لدفع الكبرى.

٢- التطبيق على «حماس» وإيران: الضرر الأكبر هو سقوط المقاومة وضعف موقف الفلسطينيين أمام الاحتلال «الإسرائيلي»، ولكن الضرر الأصغر هو التعاون مع إيران رغم خلافاتها العقائدية والسياسية في سورية والعراق واليمن، وفقاً لهذه القاعدة، يجوز لـ«حماس» التعامل مع إيران لأن المصلحة العظمى (تقوية المقاومة) تفوق المفسدة الأصغر (الاختلافات العقائدية والسياسية التي ستحصل في كل الأحوال).

خامساً: قاعدة «لا ينكر تغيّر الأحكام بتغير الأحوال»:

١- بمعنى أنه قد يتغير الحكم بتغير

الضرر الأكبر سقوط المقاومة أمام الاحتلال «الإسرائيلي» أما الضرر الأصغر التعاون مع إيران

قد يكون التعامل مع إيران غير مقبول بسورية ولكن في فلسطين جائز شرعاً وفقاً للواقع المتغير

الحال أو الواقعة، وكذلك إن كانت هناك ضرورة لذلك، فقد قال الإمام العز بن عبدالسلام: «تتغير الأحكام بتغير الزمان والمكان والأشخاص والأحوال».

٢- التطبيق على «حماس» وإيران: فقد يكون التعامل مع إيران غير مقبول في سورية مثلاً بسبب ما قامت به من العدوان المباشر، ولكن في فلسطين بمقابل الصهاينة الكفار ووجود الضرورة ومع الظروف الحالية بوجود حصارٍ دولي، فإن التعامل معها جائز شرعاً وفقاً للواقع المتغير.

سادساً: قاعدة «المداراة جائزة بخلاف المداهنة»:

١- وهي التلطف في التعامل مع الخصوم لتحقيق مصلحة شرعية، بخلاف المداهنة التي تعني التنازل عن المبادئ، من ذلك وصف النبي صلى الله عليه وسلم بعض الملوك بكلمة عظيم، وتقبيل عبدالله بن حذافة رضي الله عنه رأس الملك الكافر الظالم من أجل أسرى المسلمين، وغير ذلك.

٢- التطبيق على «حماس» وإيران: «حماس» لا تداهن إيران في عقيدتها أو سياساتها، لكنها تداريها سياسياً ببعض الخطابات والأفعال لضمان استمرار الدعم العسكري ونجاح المقاومة.

٣- التعامل مع إيران لا يعني تبنّي مواقفها في سورية أو العراق أو اليمن، بل هو تعاون محدود ضمن أهداف المقاومة الفلسطينية، فكما هو معلوم لم تلتزم «حماس» بدعم إيران في سورية عام ٢٠١١م، بل خرجت من هناك، ولا اليمن عام ٢٠١٥م مع الحوثي، ولا العراق منذ عام ٢٠٠٣م، ولا وقفت مع النظام في مواجهة المعارضة الداخلية في إيران عام ٢٠١٩م، وغيره، كما حاربت أي دعوى للتشيع أو الولاء لإيران مثل وجود ذراع «حركة الصابرين» فقمعتها

«حماس» بقوة، ولم تُعرف أي ظاهرة عقدية شيعية في غزة.

٤- لا يعني ذلك الموافقة الكاملة لكل التصريحات والأفعال، فبعضها حصل بشكل فردي أو اجتهاد خاطئ أو خلاف في تقدير الصواب، ولكن نتيجتها لا يترتب عليها حكم شرعي خادش في الولاء أو العقيدة إلا بدليل، ولا يُحكم على الكل بحكم البعض المخطئ، وهذا أمر بدهي، فالخلاف والتقدير موجود منذ جيل الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا عن مسائل وأقوال مختلفة.

سابعاً: هل «حماس» لديها خلل في الولاء والبراء؟

١- الولاء والبراء مبدأ عقدي يقوم على أن يكون ولاء المسلم لله ولرسوله وللمؤمنين، وأن يتبرأ من الكفر وأهله، وكما أشرنا سابقاً بعدم تحقق ذلك في «حماس» وفقاً للقواعد المشار إليها، فالتعريف الشرعي للولاء: الحب والنصرة والقرب من الله ورسوله والمؤمنين، والبراء: البعد والعداوة للكفر وأهله، مع مراعاة الضوابط الشرعية، فهل هذا مطبق على «حماس» بعد القواعد التي ذكرناها؟!

٢- ليست قضية التعامل والتحالف مع المخالف العقدي تعني عدم الولاء والبراء منه، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال عن «حلف الفضول»: «لو كان في الإسلام لأجبته»، وهو تعاون وتحالف مع المشركين.

ليست قضية التعامل والتحالف مع المخالف العقدي تعني عدم الولاء والبراء منه

«حماس» حركة سُنية تأسست وفيها نخبة من العلماء والمشايخ والمتخصصين وحفظة القرآن

٣- الواقع يبين من حكومات المسلمين التعامل مع الصين الشيوعية التي تجرم في حق المسلمين في جوانب وتقتلهم موجود، وكذلك التعامل مع حكومة الهند التي تقتل المسلمين، وفرنسا كذلك وروسيا وأمريكا، فكل هؤلاء شاركوا في قتل المسلمين أو إباحة ما يضرب عقائدنا ويشجع على هدمها، ومع ذلك نتعاون معهم تجارياً وسياسياً وعسكرياً وبالعبارات الدبلوماسية، ومن أشهر ذلك:

- تحرير أمريكا ودول الغرب والشرق للكويت.
- المشاركة في محاربة الحوثي من أمريكا.
- تعاون دول إسلامية مع أمريكا لمحاربة «طالبان» و«القاعدة».
- التعاون مع أمريكا في دعم الأفغان ضد السوفييت.
- دعم السوفييت لثوار الجزائر وتبادل الشكر بين القادة.

فهل هذا جائز؟ والمشكلة هي «حماس» مع إيران فقط؟!

٤- صدرت عبارات وأقوال من قادة دولنا كثيرة في حسن التعامل مع إيران وقادتها وأذرعها في حالات كثيرة.

ولا شك أن حالة الضرورة في فلسطين لا تقل عن هذه الحالات وربما تتجاوزها من ناحية الحاجة، وأيضاً فضل الأرض في بيت المقدس وأكنافها في الرواية التي صححها الإمام أحمد؛ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: «بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ».

ثامناً: هل «حماس» منحرفة عقائدياً؟

حركة «حماس» هي حركة سُنية تأسست وفيها نخبة من العلماء والمشايخ والمتخصصين وحفظة القرآن، ومنهم:

١- الشيخ د. عمر الأشقر يرحمه الله، أستاذ الشريعة بالأردن، وصاحب سلسلة العقيدة.

٢- الشيخ د. نزار ريان، أستاذ الشريعة بكلية أصول الدين بغزة، والمتخرج في السعودية.

٣- الشيخ د. صالح الرقب، أستاذ العقيدة في الجامعة الإسلامية بغزة.

وغيرهم كثير من الدعاة والمشايخ وحفظة القرآن.

وبوجود الجامعة الإسلامية في غزة وما تخرجه من أكاديميين وبحوث ودراسات عقدية رصينة ومعروفة، ومراكز شرعية وحلقات كثيرة، ومع ثناء كبير من أهل العلم عليهم والتواصل معهم، في قليل أو كثير.. فهل يصح أن نقول عن عقيدتهم منحرفة؟! ■

الخلاف المذهبي وأثـره على التحالفات في سياق المقاومة الإسلامية

د. محمد همام ملحم
أستاذ مشارك في الفقه وأصوله

تعد التحالفات السياسية والعسكرية بين المجاهدين من أهل السُّنة ومن يخالفهم من غير أهل السُّنة التي لا تكون من قبيل الولاء ولا من أجل نشر بدعة ما أو تسهيل ذلك أو تمكينه من قبيل التدبير السياسي الشرعي، وهي بشكل أدق من التدابير في السياسة الخارجية، وهذا يعني بأنها من القضايا الفقهية العملية، وليست من الأحكام العقدية النظرية؛ وذلك لأنها تدخل تحت دائرة أفعال المكلفين وتصرفاتهم، ولكي نبين أحكام التحالف بين حركات المقاومة الإسلامية السُّنية، ودول أو أحزاب أو جماعات من المسلمين من غير أهل السُّنة، لا بد أن نجيب عن بعض الأسئلة:

هل هذه المسألة من المسائل القطعية، أو من تلك التي لا تحتمل التأويل، أم هي مسألة ظنية تحتمل التأويل؟ وهل ورد فيها خلاف فقهي، وهل هنالك سوابق تاريخية لها يمكن الاسترشاد بها، وهل هي من المسائل المستجدة التي تحتاج إلى اجتهاد أم ليست كذلك؟

إن التحالفات السياسية والعسكرية ما هي إلا نوع من المعاهدات، وقد وردت جملة من النصوص تدل على مشروعية التحالف، منها ما رواه البيهقي في «سننه» عن طلحة بن عبدالله بن عوف، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمرَ النعم، ولو أُدعى به في الإسلام لأجبت» (السنن الكبرى ٦/ ٣٧٦).

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر قال: «كانت خزاعة حلفاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت بنو بكر، رهط من بني كنانة، حلفاء لأبي سفيان» (صحيح ابن حبان، ١٣/ ٣٤٠)، وقد كان أكثر خزاعة من المشركين.

فهذان الحديثان يدلان بوضوح على مشروعية التحالف بين المسلمين وغيرهم، حتى وإن كانوا مشركين؛ وبناء عليه، فإن أحكام التحالف تدخل في دائرة الأحكام الظنية.

وقد ورد في حكم التحالف مع أهل البدع خلاف بين الفقهاء، فقد

التحالفات السياسية والعسكرية بين المسلمين وغيرهم حتى وإن كانوا مشركين.. مشروعة

قال الحنفية بإباحة الاستعانة بهم، حيث قال الإمام السرخسي: «ولا بأس بأن يستعين أهل العدل بقوم من أهل البغي وأهل الذمة على الخوارج إذا كان حكم أهل العدل ظاهراً؛ لأنهم يقاتلون لإعزاز الدين» (المبسوط، ١٠/ ١٣٤).

وذهب الحنابلة إلى تحريم الاستعانة بالفرق التي يقوم أصحابها بالدعوة إليها، قال ابن مفلح: «تحرم الاستعانة بأهل الأهواء في شيء من أمور المسلمين لأنهم أعظم ضرراً لكونهم دعاة بخلاف اليهود والنصارى. (المبدع في شرح المقنع ٣/ ٣٠٦).

ولم ينص كل من المالكية والشافعية على حكم هذا التحالف، وإن كان يفهم من كلامهم الذي يدور حول التحالف مع أهل الذمة أو المشركين ضد المشركين، فالمالكية يرون أنه لا يباح إلا للضرورة، أما الشافعية فيرون أنه يباح للحاجة الماسة بشرط كون الغلبة للمسلمين.

وعليه، فهل هذه المسألة من المسائل المستجدة التي تحتاج إلى اجتهاد جديد أم ليست كذلك؟ إنّ مما يدخل في المسائل المستجدة المسائل التي بين الفقهاء حكمها، لكن تغيرت الظروف والأحوال والأعراف المتعلقة بها؛ وبناء على ذلك، فإن هذه المسألة من المسائل المستجدة التي تحتاج إلى اجتهاد جديد، يستفاد فيه من آراء الفقهاء السابقين من حيث التكييف والتخريج ويسترشد فيه بالسوابق التاريخية في تصوير المسألة، ولا بد أن يضاف إلى ذلك موازنة بين المصالح والمفاسد المترتبة على هذا التحالف.

أما صورة المسألة؛ فهي عبارة عن تحالف سياسي وعسكري بين حركات المقاومة الإسلامية السُّنية في فلسطين خصوصاً، ودولة أو حزب أو جماعة تنتسب إلى فرقة من غير أهل السُّنة، وهذا التحالف متعلق بهدف مشترك واحد هو مقاومة الاحتلال الصهيوني لفلسطين، مع التأكيد على عدم تأثر هذه الحركات ولا حاضنتها الشعبية بفكر هذه الفرق أو اعتقاداتهم، بل مع إنكارهم لأفعالهم في البلدان الأخرى وعدم الرضا بها، فالعلاقة سياسية محضة ولا أثر لها بنقل اعتقادات تلك الفرق.

وقد انبنى على هذا التحالف إسناد لا يمكن إنكاره خصوصاً في معركة «طوفان الأقصى»، وما يزال هذا الإسناد مستمراً، خصوصاً من جبهة اليمن، في وقت اتسم العالم الإسلامي السُّني بالخذلان.

أما تكييفها؛ فهي صورة من صور المعاهدات في الفقه الإسلامي، فالمسألة فقهية ظنية ينظر إليها من منظار الموازنة بين المصالح المجتلبة، والمفاسد المندفعة، مع التأكيد على كون الأصل فيها المنع إن لم تكن هنالك حاجة.

أما تخريجها؛ فإذا خرجناها على قول الحنفية فنقول بإباحتها، وإذا خرجناها على قول الشافعية فيكون الحكم فيها الإباحة للحاجة الماسة، بشرط أن يكون لأهل السُّنة الغلبة، أما إذا خرجناها على قول الحنابلة فسيكون عندها الحكم التحريم، أما على قول المالكية فسيكون الحكم بالإباحة للضرورة.

أما الموازنة بين المصالح والمفاسد؛ فقد ظهر لكل ذي عينين عدد من المصالح العظيمة التي جلبها هذا التحالف، التي منها تقوية المقاومة وإمدادها بالسلاح والتدريب العسكري ونقل الخبرات العسكرية؛ وهي مصلحة ضرورية عامة واقعة متعلقة بحفظ الكليات جميعها،

الراجح بهذه المسألة الإباحة إذا وجدت الحاجة الماسة وهو الحاصل في فلسطين مع انعدام النصير السُّني

وإمداد المقاومة بالمال؛ وهي مصلحة ضرورية عامة واقعة متعلقة بحفظ المال، فضلاً عن إسناد المقاومة بشكل فعلي وإشغال ما يقارب نصف جيش العدو وإرباكه؛ وهي مصلحة ضرورية عامة متعلقة بالكليات جميعها.

أما المفاسد؛ فمنها ظهور تصريحات فيها تجاوز من قادة المقاومة في الثناء على قيادات هذه الفرق غير السُّنية، وهذه مفسدة قد تصل إلى درجة الإخلال بالحاجي العام الواقع المتعلق بالدين، وتحسين صورة هذه الجهات بعد ارتكابها للمجازر والتقتيل لأهل السُّنة في العراق وسورية وغيرهما، وهذه مفاسدُ مخلة بالحاجي العام الواقع المتعلق بالدين، والخشية من التأثر بفكر هذه الفرق واعتقاداتها؛ وهي مفسدة مخلة بالضروري العام المتوقع المتعلق بالدين.

وإذا قمنا بإجراء موازنة سريعة بين كل من المصالح والمفاسد، فإننا نجد أن كفة المصالح أرجح بكثير، ومن ثَمَّ فالراجح في هذه المسألة إنما هو القول بالإباحة إذا وجدت الحاجة العامة الماسة، وهو الحاصل في قضية فلسطين مع انعدام النصير السُّني إلى هذه اللحظة، وعندما نقول بأن الإباحة للحاجة فهي تقدر بقدر وجود الحاجة، والحاجة أوسع بكثير من حالة الضرورة، ولا بد أن نشيرَ إلى ضرورة معرفة قيادات المقاومة بدقائق الخطاب الشرعي العقدي والأصولي من أجل ضبط الخطاب الإعلامي لتقليل المفاسد المترتبة على هذه التحالفات والوصول إلى حالة غياب المفسدة كلياً ■

حكم الاستعانة في القتـــال بغيـر المسلمين والمسلمين المخالفين.. حقائق وغايات

أ.د. عاطف إبراهيم رفاعي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن

هذا البحث يتناول مسألة مهمة تجدد حولها النقاش واحتد، بسبب ما نحياه في عالمنا الإسلامي، من أوضاع كارثية وعدوان غاشم وإبادة جماعية على إخواننا في غزة، يرتكبها عتاة الإجرام ودولة الإرهاب الكيان الصهيوني ومن خلفه، في مقابل عجز مريب من أمة المليار ونصف المليار عن توفير كل الدعم اللازم لتقوية صفوفهم، وإغاثتهم، والدفاع عنهم، وعن مقدسات الأمة.

وفي هذا الظرف العصيب، ومع قيام إخواننا المقاومين بكل ما يستطيعون، من التضحيات، وفقد الأهل والأولاد والأموال والممتلكات في سبيل الصمود والمحافظة على وطنهم، كل هذا دون دعم عسكري من مسلمي دول الطوق، وتخلي الأقربين وعجزهم عن واجبهم،

علماء الإسلام متفقون على جواز الاستعانة بغير المسلمين بالقتال سواء كانوا حربيين أو ذميين أو مستأمنين

فكان أن احتاج هؤلاء المرابطون إلى قبول الدعم من قبل الجمهورية الإيرانية، التي يرتاب في مواقفها كل سُني، ولا يتوقع منها خيراً، ولكنهم اضطروا اضطراراً لقبول مساعدتهم، والانتفاع بالقليل من إمداداتهم، التي مكنتهم من امتلاك بعض السلاح الذي يدافعون به عن دينهم ومقدساتهم، وأرضهم، وأعراضهم، مع التأكيد على عدم وجود إيرانيين يقاتلون في فلسطين، وإخواننا المرابطون من أهل السُّنة والجماعة، وكثير منهم علماء وطلبة علم وحفّاظ قرآن.

وفي هذا السياق، ورغم ما وصفنا من الحال، راح بعضهم ينكر على الغزيين المقاومين ويستنكر قبولهم المساعدة والاستعانة بإيران، واتهموا المقاومين بالانحراف، وأنهم أتباع لإيران؛ ارتموا في أحضانها، ويأتمرون بأوامرها.. ومن هنا نرى واجباً، بيان حكم الاستعانة في القتال بأمثال هؤلاء، وغيرهم، وقبول معونتهم، ومساعدتهم.

إن علماء الإسلام متفقون على جواز الاستعانة بغير المسلمين في القتال سواء كانوا حربيين، أو ذميين، أو مستأمنين، وكذلك ومن باب أولى الاستعانة بالمنافقين، والفاسدين، وأهل الأهواء والبدع، والفرق المنحرفة، والبغاة المنتسبين للإسلام، فهذه الأصناف، من المسلمين وغيرهم، يجوز بلا خلاف -عند الضرورة والحاجة الشديدة- الاستعانة بهم في مصلحة المسلمين مع شروط معتبرة لا بد من توفرها، وهي:

١- العجز عن القتال بدون المساعدة والاستعانة.
٢- عدم التفريط في ثوابت دين الإسلام.
٣- عدم تأثر عقيدة الأمة.
٤- أمن الخطر من جانبهم.
٥- القدرة على دحر شرهم.

والاستعانة بأي أحد ممن يجوز الاستعانة بهم في القتال، يجب أن تكون مع تحصيل مقاصد تلك الاستعانة، التي منها: درء خطر الأعداء الداهم على بلاد المسلمين، وحفظ الدين والنفوس والممتلكات والمقدسات، وتوفير السلاح بيد المسلمين الرادع للأعداء، وتقوية الصفوف، ودعم صمود المجاهدين المقاومين للعدو،

ابن باز: إذا دعت الحاجة والضرورة وجب دفع الشر بالممكن سواء كان بمسلم أو كافر أو عاص أو منافق

وتحقيق النصر المنشود، والتحرير للمقدسات.

وفيما يلي عرض نماذج من كلام الفقهاء

١- قال الإمام أبو بكر الجصّاص الحنفي: «وَقَالَ أَصْحَابُنَا: لَا بَأْسَ بِالِاسْتِعَانَةِ بِالْمُشْرِكِينَ عَلَى قِتَالِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إذَا كَانُوا مَتَى ظَهَرُوا كَانَ حُكْمُ الْإِسْلَامِ هُوَ الظَّاهِرُ، فَأَمَّا إذَا كَانُوا لَوْ ظَهَرُوا كَانَ حُكْمُ الشِّرْكِ هُوَ الْغَالِبُ فَلَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يُقَاتِلُوا مَعَهُمْ»[١].

٢- قال محمد بن يوسف أبو عبدالله المواق المالكي: «وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ عَنْ مَالِكٍ: لَا بَأْسَ لِلْإِمَامِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِالْمُشْرِكِينَ فِي قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ إذَا احْتَاجَ إلَى ذَلِكَ»[٢].

٣- قال الإمام النووي الشافعي: «تَجُوزُ الِاسْتِعَانَةُ بِأَهْلِ الذِّمَّةِ وَبِالْمُشْرِكِينَ فِي الْغَزْوِ، وَيُشْتَرَطُ أَنْ يَعْرِفَ الْإِمَامُ حُسْنَ رَأْيِهِمْ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَيَأْمَنَ خِيَانَتَهُمْ»[٣].

٤- وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: «أَجَازَ الْحَنَفِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ اسْتِعَانَةَ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِهِ فِي الْقِتَالِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَالشَّافِعِيَّةُ بِشُرُوطٍ، وَالْمَالِكِيَّةُ بِشَرْطِ رِضَاهُ.. وَقَالَ الْحَنَفِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ: يَجُوزُ الِاسْتِعَانَةُ بِأَهْلِ الْبَغْيِ عَلَى الْكُفَّارِ»[٤].

٥- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب، كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيراً من العكس»، وسئل ابن تيمية عن رجل يفضل اليهود والنصارى على الرافضة فأجاب: «الحمد لله كل من كان مؤمناً بما جاء به محمد فهو خير من كل

الاستعانة في القتال بغير المسلمين وغيرهم لا يدخل في مسائل العقيدة ولا صلة له بالولاء والبراء

من كفر به، وإن كان في المؤمن بذلك نوع من البدعة سواءً كانت بدعة الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية أو غيرهم؛ فإن اليهود والنصارى كفارٌ كفراً معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام، والمبتدع إذا كان يحسب أنه موافق للرسول صلى الله عليه وسلم لا مخالف له لم يكن كافراً به، ولو قُدِّرَ أنه يَكْفُرُ، فليس كفره مثل كفر من كذب الرسول صلى الله عليه وسلم»[٥].

٦- وللشيخ العلَّامة عبدالعزيز بن باز فتاوى بارزة في هذا الأمر، ملخصها: «إذا دعت الحاجةُ والضَّرورة وجب دفع الشرِّ بالممكن، سواء كان بمسلم أو كافر أو عاص أو منافق عند الضَّرورة، بشرطَ مراعاةً السلامةً، وأن الغالب السلامة والنفع بهذا المستعان به ضد العدو المستعان عليه»[٦].

وله في موضع آخر قوله: «والمقصود أن الاستعانة تختلف فإذا كانت الاستعانة ليس فيها خطر كاستعانة بدروع أو بمدافع أو بدبابات أو برصاص أو بأشياء تنفع الغزو لا بأس أن يستعين بمشرك بهذا إذا رأى المصلحة في ذلك والحاجة في ذلك؛ لأنه بعيد عن المسلمين ولا يضرهم وجوده، والمال الذي أخذ منه من الدروع والمدافع والطائرات ونحو ذلك تنفع المسلمين وتعينهم على عدوهم»،

وقال أيضاً: «ويجوز الاستعانة بالمنافق إجماعاً لاستعانته صلى الله عليه وسلم بعبدالله بن أبي وأصحابه».

وهنا نؤكد أمرين:

الأول: الاستعانة في القتال بغير المسلمين وغيرهم، لا يدخل في مسائل العقيدة، ولا صلة له بالولاء والبراء، فهو عمل سياسي، تحكمه المصلحة والحاجة والضرورة، يؤيد ذلك تعاملات النبي صلى الله عليه وسلم وتعدد مواقف الاستعانة بالكفار، بل والتحالف معهم.

الثاني: أن ما ذهبت إليه المقاومة الإسلامية الفلسطينية من قبول مساعدة إيران لم يكن استحساناً لمذهبها، أو تأثراً بعقائدها، أو نشراً لفكرها المخالف للسُّنة والجماعة، بل كان اضطراراً شديداً، وحاجة ملحة لحفظ الأنفس، والدفاع عن الدين والمقدسات؛ وهذا ما سوّغ قبول الاستعانة بها، مع الخطر المحقق، والعدوان الصارخ، وانعدام القريب المعاون[٧]. ■

الهوامش

(١) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الجصاص الحنفي (٢/ ٥٥٩)، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

(٢) التاج والإكليل لمختصر خليل، محمد بن يوسف أبو عبدالله المواق المالكي (٤/ ٥٤٥)، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٩م.

(٣) روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (١٠/ ٢٣٩)، الطبعة الثالثة بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية (٤/ ١٨-١٩)، الطبعة الأولى القاهرة، هجر للطباعة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٥) كتاب الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي، الفرع الثاني، أقوال الفقهاء في حكم الاستعانة بأهل البدع، ص٢٤٧، ومجموع الفتاوى (٢٨/ ٢١٢-٢١٣) و(٣٥/ ٢٠١).

(٦) الموقع الرسمي للشيخ الإمام ابن باز، فتاوى الدروس، حكم الاستعانة بالكفار في مصلحة المسلمين.

(٧) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ الإمام ابن باز (٦/ ١٨٨)، الناشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

مقاصد السياسة الشرعية وغاياتها

د. أنجوغو إمباكي صمب
باحث في مقاصد الشريعة – السنغال

تقرر في قواعد الفقه الإسلامي أن «الأمور بمقاصدها»، ويدخل في ذلك كل تصرفات المكلفين، من عبادة ومعاملات، وجرياً على وفق هذه القاعدة الفقهية، يمكن أن نذكر في هذا الصدد ضابطاً فقهياً يندرج تحت هذ القاعدة الفقهية الكلية، فنقول: «إن السياسيات بمصالحها»؛ لأن جميع تصرفات الإمام في لرعية منوطة بالمصلحة.

فما حققت من السياسات مصلحة للأمة، أو دفعت عنها مفسدة؛ فهي داخلة في إطار السياسة الشرعية، وما لم تحقق منها مصلحة للأمة أو لم تدفع عنها مفسدة؛ فليست من السياسة الشرعية في شيء، وسواء في ذلك المصالح الدنيوية العاجلة، والمصالح الأخروية العاجلة.

والسياسة الشرعية أفضل السياسات وأعدلها على الإطلاق، لما تحقق من المقاصد العليا والمنافع الكبرى، التي تعود على الراعي والرعية، وتنفعهم في إقامة دينهم، وسياسة دنياهم، وإصلاح عاجلهم، وإسعاد آجلهم، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٥٠).

السياسة الشرعية أفضل السياسات وأعدلها لما تحقق من المقاصد العليا والمنافع الكبرى

معنى مقاصد السياسة الشرعية:

رغم حديث العلماء المستفيض عن مقاصد السياسة الشرعية في كتبهم ومصنفاتهم، فإننا لم نقف على تعريف جامع مانع لمقاصد السياسة الشرعية، وبعد التأمل في مجموع ما ذكروه من معانٍ خلصنا إلى القول بأنها: «الحكم والغايات والأسرار التي من أجلها شرعت الأحكام المتعلقة بتدبير الشأن العام للأمة»، أو هي: «المصالح والمنافع الناتجة عن التشريعات الإسلامية المتعلقة بالإمامة والولاية».

فمن أمعن النظر في الأحكام المتعلقة بالسياسة وتدبير الشؤون العامة للأمة يجد أن للشارع الحكيم مقاصد وغايات وحكماً وأسراراً يريد تحققها من خلال تلك التشريعات، وهي تلك المقاصد الكلية التي نص عليها في بعض الأدلة، أو استنبطها العلماء من النصوص الشرعية، وفق المنهج الأصولي في الكشف عن المقاصد والغايات الشرعية.

من أهم مقاصد السياسة الشرعية:

١- مقصد إقامة الدين:

من مقاصد السياسة الشرعية:

- بث عقيدة التوحيد وإظهار شعائر الإسلام
- تدبير شؤون الأمة وتنظيم تراتيبها الإدارية
- حفظ المسلمين وتجنيب كيانهم من التفرق
- اتخاذ التدابير اللازمة للدفاع عن المسلمين

هو بث عقيدة التوحيد بين الناس، وإظهار شعائر الإسلام والعمل بشرائعه فيهم، وحفظه من التغيير والتحريف والتبديل، قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج).

ومقصد إقامة الدين وحفظه من أهم الفروق بين الدولة الإسلامية القائمة على الإيمان بالله تعالى وتوحيده، والدولة العلمانية القائمة على مبدأ الفصل بين الدين والسياسة، ونبذ أحكام الشريعة، يقول جمال الدين عطية: «فلا ترى الشريعة فصل الدين والأخلاق، واعتباره أمراً يخص الفرد ولا دخل للمجتمع فيه، كما ترى النظم العلمانية.. أما الشريعة فترى حفظ دين عموم الأمة من أهم مقاصدها»[1].

٢- مقصد تدبير شؤون الأمة العامة:

ومن مقاصد السياسة الشرعية تدبير شؤون الأمة العامة، وتنظيم تراتيبها الإدارية، وتصريف قضاياها الحكومية، وتحديد علاقاتها الدولية، والأصل في هذا المقصد ما رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي»[2]، قال النووي: أي يتولون أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية، والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه[3].

وأهم الشؤون العامة التي يدبرها الإمام التربية والتعليم، والصحة، والاقتصاد، وتحقيق الأمن الغذائي، والفصل بين الخصومات، ورد الحقوق إلى أهلها، وحفظ بيضة الأمة، والدفاع عن مقدراتها.

٣- مقصد تأدية الأمانات إلى أهلها:

جماع مصالح الناس التي يتعلق بها نظر الإمام أمران، وهما: الولايات والأموال، وذلك لأن النفوس مجبولة على حبهما والتنافس عليهما، وقد يظلم الناس بعضهم بعضاً بسببهما، وهي في الجملة أمانات في يد الإمام وليس ملكاً له، وقد أوجب الشارع الحكيم على الأئمة والولاة تأديتهما إلى أهلهما المستحقين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: ٥٨)، قال ابن جرير: هو خطاب من الله إلى ولاة أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من ولوا في فيئهم وحقوقهم، وما ائتمنوا عليه من أمورهم بالعدل بينهم في القضية، والقسم بينهم بالسوية[4].

ومن السياسة الشرعية والولاية الصالحة تأدية الأمانات إلى أهلها، وإيصال الحقوق إلى أصحابها، وتسوية الفرص والإمكانات أمام الجميع، لا فرق بين قريب وبعيد، وبين غني وفقير، وبين موال ومعارض.

٤- مقصد حفظ جماعة المسلمين:

من مقاصد السياسة الشرعية ومطالبها الضرورية حفظ جماعة المسلمين، وتجنيب كيانهم من التفرق والتصدع، وإبقاؤها قوية متماسكة مترابطة، ومن الأدلة على هذا المقصد الجليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥).

وما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: «يا أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا، فقال: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن»[5].

٥- مقصد حماية بيضة الأمة وإرهاب أعدائها:

من أهم مقاصد السياسة الشرعية حماية بيضة الأمة وإرهاب أعدائها، واتخاذ التدابير اللازمة للدفاع عن حياض المسلمين، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٣٩)[6]، وقال تعالى آمراً المسلمين بأخذ الحيطة من أعداء الإسلام المتربصين بالأمة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠).

قال ابن عاشور: فمن مقاصد الإسلام أن تكون الأمة الإسلامية مرهوبة الجانب محترمة، منظور إليها في أعين الأمم الأخرى نظرة المهابة والوقار، يخشون بأسها ليردعهم عن مناوشتهم إياها وتكدير صفو الأمن فيها[7].

تلكم أهم مقاصد السياسة الشرعية وغاياتها الكبرى سيقت على عجالة وبما يناسب المقام، وخلاصة القول أن كل ما يحقق المصلحة ويدفع المفسدة عن الأمة من تصرفات الإمام فهو مقصود شرعاً، كما نص عليه الإمام ابن قيم الجوزية؛ فحيث ما كانت المصلحة فثم شرع الله.■

الهوامش

(١) نحو تفعيل مقاصد الشريعة، لجمال الدين عطية، ص ١٥٩، الناشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٢٤هـ.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري (٤/ ١٦٩)، صحيح مسلم (٣/ ١٤٧١).

(٣) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن حجاج، تأليف يحيى بن شرف النووي (١٢/ ٢٣١)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٤) جامع البيان (٧/ ١٦٨).

(٥) سنن الترمذي (٤/ ٣٥).

(٦) السنن الكبرى، للنسائي (١٠/ ١٩١).

(٧) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ٢١٦.

القواعد الناظمة للسياسة الشرعية

د. إبراهيم أحمد مهنا
عضو المكتب التنفيذي
بهيئة علماء فلسطين

المقصد الأساس من السياسة الشرعية هو جلب مصالح الدارين، ودفع المفاسد عنهما، فالدين كله سياسة لإصلاح الدنيا ودرء المفاسد عنها، ولإصلاح الآخرة ودرء المفاسد عنها، وتُدرك المصالح والمفاسد إما بالنصوص أو بالاجتهاد، وإدراك المصالح والمفاسد بالاجتهاد بحر عميق لا ينبغي أن يلجه إلا المتبحرون بالفقه والأصول من أصحاب الخبرة، فلا يصلح أن يتحدث فيه المبتدئون، ولتحقيق ذلك فقد نظم الفقهاء مجموعة من القواعد الحاكمة التي تضبط الحاكم في سياسة الرعية، ومن هذه القواعد:

أولًا: مشاورة أهل الحل والعقد في أمور الدولة وسياسة الرعية، قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨)، ووجوب مراجعة الحاكم -إذا لم يبلغ مبلغ الاجتهاد- للعلماء الذين هم ورثة الأنبياء في جميع أعماله حتى لا تخالف أحكام الشريعة.

ثانيًا: موافقة الشرع: السياسة المخالفة للشرع وإن كانت تحقق بعض المصالح فهي ليست سياسة على الحقيقة وإن سميت بذلك، فالعبرة بالحقائق لا بالمسميات، قال ابن مفلح: «أكثر السلاطين يعملون بأهوائهم وآرائهم لا بالعلم، ويسمون ذلك سياسة، والسياسة هي الشريعة»[1]؛ إذ لا مكان لاتباع الهوى في الشريعة.

وقد خاطب الله تعالى أنبياءه ونهاهم عن اتباع الهوى، فمَن دونهم بالخطاب أولى، وعلى الإمام الالتزام بأحكام الشريعة كسائر المكلفين، قال تعالى: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) (ص: ٢٦)، وقال في حق نبينا صلى الله عليه وسلم: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية: ١٨)، وبيّن لنا الله تعالى أنه لا أضل ممن اتبع هواه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ (القصص: ٥٠).

وقد كتب ابن تيمية رسالة في السياسة الشرعية، جاء في أولها:

«فهذه رسالة مختصرة فيها جوامع من السياسة الإلهية»[٢]، وكذا قال ابن الجوزي: «الشريعة سياسة إلهية»[٣]، فتسميتها بالسياسة الإلهية فيه تصريح بأن السياسة التي يعتد بها شرعاً هي السياسة الموافقة للشريعة التابعة لها، فالمهمة الرئيسة للإمام هي حفظ الدين ونشر الدعوة إلى الله تعالى وإقامة العدل ومنع الظلم والفساد، وأن يكون وليّ مَن لا وليّ له، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي»[٤]، فالسياسة: قيام الولاة على شأن الرعية بما يصلحهم ويدفع عنهم غوائل الفساد.

ثالثاً: «لا ضرر ولا ضرار»، وهذه القاعدة نص نبوي[٥]، وتعتبر من أعظم قواعد الفقه في السياسة الشرعية، وينبني على هذه القاعدة فروع فقهية كثيرة، وجاء لفظاً الضرر والضرار بصيغة النكرة بعد النفي ليفيدا الاستغراق والعموم، فالضرر لا تجيزه الشريعة لأحد ابتداء، وأحكام الشريعة تخلو من الضرر وإن كان فيها الحدود والعقوبات التعزيرية، وإن وقع الضرر فإن الواجب إزالة آثاره عن طريق التعويضات المشروعة.

لذا تفرع عن هذه القاعدة عدة قواعد، منها: «الضرر يزال»، و«الضرر يدفع بقدر الإمكان»، فإن أمكن دفع الضرر كله فبها ونعمت، وإلا فإنه يدفع منه ما أمكن، وأيضاً قاعدة «احتمال أخف الضررين»، فقد لا يتم دفع الضرر إلا بالوقوع بضرر آخر أقل من الضرر المدفوع، ولنا في قصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح هذا النموذج القرآني في دفع الضرر الأشد بالأخف، حيث خرق السفينة، وقتل الغلام، وبنى جداراً في قرية لم تكرمه.

وتحديد أخف الضررين أو شر الشرين لا يخضع للعاطفة والجانب النفسي للإنسان، بل لا بد أن يكون خاضعاً للمعيار الشرعي، فقد يكون أخف الضررين شرعاً هو الأصعب والأشد في الظاهر، وذلك كمحاربة

الدين كله سياسة لإصلاح الدنيا ودرء المفاسد عنها ولإصلاح الآخرة ودرء المفاسد عنها

الأولويات النسبية تختلف من بلد إلى آخر بحسب ما يحتاجه كل بلد بشكل أهم من غيره

أبي بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: إذا اجتمعت المصلحة والمفسدة فالعمل على أرجحهما، ومن صور هذه القاعدة: فداء أسرى المسلمين من أيدي العدو ببذل المال لهم، فمصلحة فداء الأسرى هنا راجحة على مفسدة إعطاء المال للعدو.

خامساً: مراعاة المآل، والمآل هو عاقبة الأمر أو ما ينتهي إليه، وهذه القاعدة العظيمة تدعونا إلى عدم الإقدام على عمل إلا بعد النظر في عاقبته، وهذا أمر ينبغي للحكام إتقانه لما ينبني عليه من جلب مصالح أو دفع مفاسد، فقد يكون ظاهر الأمر خيراً وعاقبته شراً، أو العكس، فلا بد من التبصر في الأمر ومعرفة ما يتعلق به من دلائل وقرائن قبل الإقدام عليه.

ومن صور هذه القاعدة: امتناع النبي صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين، وعلل ذلك بقوله: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»[٦]، ومنها ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: «لولا قومك حديث عهدهم بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين: باب يدخل الناس وباب يخرجون»[٧]، وقد ترجم البخاري للباب الذي ذكر فيه هذا الحديث بقوله: «باب: من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه»، وما أحسن قول ابن حجر عندما علق على الحديث: «وفيه اجتناب ولي الأمر ما يتسرع الناس إلى إنكاره، وما يخشى منه تولد الضرر عليهم في دين أو دنيا»[٨].

سادساً: تقديم الأولى، عند تزاحم الأعمال وتضايق الأوقات فإنه يتحتم علينا تقديم الأولويات؛ لذا ينبغي للحاكم إدراك فقه الأولويات ومعرفة مداركه، والحديث هنا عن الأولويات النسبية التي قد يحدث فيها التفاوت بحسب الزمان والمكان والحال، ذلك أن الأولويات المطلقة المتعلقة بالإسلام وأركانه فإنه يحتاج إليها في كل زمان ومكان، والأولويات النسبية تختلف من بلد إلى آخر بحسب ما يحتاجه كل بلد بشكل أهم من غيره.

فأولوية أهل فلسطين دفع الاحتلال عن أرضهم -ولعمر الله أصبح هذا الأمر أولوية الأمة الإسلامية- وأولوية الأقليات المسلمة في الغرب الحفاظ على هويتهم الإسلامية، وهكذا تتفاوت الأولويات من مكان إلى آخر، بل ومن شخص إلى آخر، فتختلف أولويات الغني عن الفقير، والقوي عن الضعيف، والعالِم عن غيره.

وبعد، فهذه بعض القواعد الناظمة للسياسة الشرعية التي إن التزمها الحكام وُفقوا إلى جلب المصالح للعباد والبلاد، ودفع المفاسد عنهما، وهذا يقتضي منهم الحرص على أن يكون في بطانتهم العلماء الربانيون وأصحاب الرأي والخبرة.■

الهوامش

(١) ابن مفلح، الفروع (٦/ ٣٨٦).
(٢) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص٣-٤.
(٣) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص١٨٨.
(٤) رواه الشيخان، واللفظ لمسلم.
(٥) السيوطي، الجامع الصغير (ح٩٨٨٠).
(٦) رواه الشيخان.
(٧) المرجع السابق.
(٨) ابن حجر، فتح الباري (٣/ ٤٤٨). الإسلام، ص ٢١٦.

لم يعد لدعاوى الفصل بين الدين والسياسة وجه مقبول؛ بعد الكساد الذي مُنيتْ به بضاعة العلمانيين الأقحاح، بسبب مناقضتها المباشرة للخطاب الشرعيّ المحكم، وكعادة الباطل إذا عجز عن المواجهة الصريحة بدأت العلمانية تتخذ صورة أقلّ صفاقة وإن كانت أكثر سماجة، فجاء الطرح الحداثيّ الذي تبناه فيما بعد بعض المنسوبين للدراسات الإسلامية إنْ بصدق أو بكذب، هذا الطرح انطلق من رؤية غربية للتراث الإسلاميّ، وعلى التوازي مضى -وإنْ في الاتجاه المعاكس- طرح يجدر أن نسميه بالطرح «المتسلفن»؛ لأنّه تزيّا بالسمت السلفيّ وإن جاء في حقيقته مناقضاً لأصوله ومناهجه.

كلا الطرحين أبْعَدَ النجعة ونَأى عن نهج الاعتدال؛ لأسباب يُسند جلّها إلى علل نفسية بعيدة عن المنهج العلميّ، وهذه لا حيلة لنا فيها، والقليل منها يرجع إلى أخطاء منهجية في استمداد التصور الإسلاميّ للسياسة والحكم، فما منطلقات الفهم القويم والتنزيل السليم للفقه السياسي الإسلاميّ؟ وكيف من خلال هذه المنطلقات نعالج النوازل؟

كيف السبيل إلى ترشيد فتاوى النوازل السياسية؟

د. عطية عدلان

أستاذ الفقه والسياسة الشرعية

يخطئ كثير من الباحثين في الفقه السياسي الإسلامي عندما يذهبون مباشرة إلى كتب السياسة الشرعية التراثية؛ فيعولون عليها في تصور السياسة في الإسلام سواء على مستوى نظم الحكم أو على مستوى الممارسة السياسية، مثل: «الأحكام السلطانية» للماوردي، ولأبي يعلي، و«غياث الأمم» للجوينيّ، و«تحرير الأحكام» لابن جماعة.. وغيرها، فهذه الكتب على أهميتها وجلالة قدر كاتبيها لا تصلح إلا لأن تأتي لاحقاً لاستكمال التصور بالاطلاع على بعض الاجتهادات التي استحدثها هؤلاء العلماء الأجلاء؛ وذلك لأنّ كثيراً من المفاهيم الرئيسة وقع لها تغيير غير متعمد، فرضته النقلة المفاجئة والمربكة في الأوضاع السياسية، كمفهوم الاستخلاف ومفهوم التغلب والمفاهيم المرتبطة بالبيعة وبالسمع والطاعة لولاة الأمر، مثّلَتْ هذه النقلة السريعة جسراً شديد الانزلاق مَرَّرَ مصطلحات قديمة بعد تفريغها من مضمونها.

والعاصم من الانحراف لن يكون إلا بالرجوع أولاً لجذور الفقه السياسي الإسلامي بشكل مباشر، هذه الجذور تتمثل في الكتاب والسُّنة والسيرة العملية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، هذه هي الجذور الحقيقية التي أنبتت الشجرة العملاقة، فمنها عرفنا الشورى والبيعة وسلطان الأمة وسيادة الشرع المعظم، ومنها عرفنا كيف يتم تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وكيف تنشأ الدولة وكيف تمارس عملها، ومنها عرفنا علاقة الدولة في الإسلام بغيرها من الدول سلماً وحرباً.

ولا ريب أنّ سُنة الخلفاء الراشدين، ولا سيما في السياسة والحكم، حجة يجب العمل بها، وقد دلنا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث صحيحة، منها حديث العرباض بن سارية، ثم بعد ذلك يعرج الباحث على كتب الفروع الفقهية وكتب التفاسير وكتب شروح الأحاديث، قبل أن يذهب إلى كتب السياسة الشرعية التراثية.

فهم الواقع صمام الأمان:

كثيراً ما يتردد بين المثقفين في الفقه والأصول عبارة «الحكم على الشيء فرع عن تصوره»، وهي عبارة ثابتة وصحيحة، فإذا كانت منطبقة على الوقائع الفردية فإنّها من باب أولى تنطبق على النوازل العامّة، فلا بدّ من تصور النازلة التي حلّت

بالمسلمين في الميدان السياسيّ، وهذا لا يتسنى لأحد بعيد عن الواقع متجاهل له.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفهم الواقع المحلي والإقليمي والدولي على أكمل وجه، ليس أدلّ على ذلك من سلامة قراراته ودقتها ومناسبتها لكل موقف مرّت به الأمة في عهده، وقد نزل القرآن يلفت أنظار المسلمين إلى أهمية الحرب القائمة بين الفرس والروم، التي غُلِبَ فيها الروم في الجولة الأولى ثمّ غَلَبوا في الثانية، وكيف أنّ هاتين الحربين شغلتا القوتين العظميين آنذاك ووفرت هامشاً للدولة الإسلامية الوليدة لتنطلق انطلاقتها الأولى، ولعل ذلك هو المقصود من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ (الروم).

ولفهم الواقع فهماً صحيحاً قواعد وأسس، أهمها الاعتماد على المعلومة الآتية من مصدرها المعتمد، لا على الوسائل الشائعة ولا سيما التي عرفت بعدم موثوقيّتها، وعدم التفسير بالأمانيّ التي تتحكم في الباحث، والتحرر من قيود الهزيمة النفسية وأغلال الانبهار بقوة الغالب، والتزام الموضوعية في تفسير الظواهر.

السنن الإلهية قوانين تحكم العمران البشريّ:

العاصم من الانحراف لن يكون إلا بالرجوع أولاً لجذور الفقه السياسي الإسلامي.. الكتاب والسُّنة

لفهم الواقع فهماً صحيحاً قواعد أهمها الاعتماد على المعلومة من مصدرها المعتمد لا على الوسائل الشائعة

إذا اجتمع الفقه الشرعي الصحيح مع فهم الواقع ومراعاة السُّنن الربانية في الكون.. فذاك هو الفلاح

إذا اجتمع الفقه الشرعي الصحيح المستمد من جذوره مع الفهم الصحيح للواقع، فقد توفرت قاعدتا المثلث الذي ينظم عملية التنزيل والتأويل، أمّا رأس هذا المثلث فهو السنن الإلهية، السنن التي أودعها الله تعالى في الحياة الإنسانية؛ لتحكم العمران البشريّ مثلما تحكم قوانين الفيزياء والفلك هذا الكون العملاق.

من هذه السنن سنة التدافع: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (البقرة: ٢٥١)، وسُنة التداول: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٤٠)، وسُنة التمحيص: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤١)، وسُنة التمييز: (مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) (آل عمران: ١٧٩)، وغيرها، ومن سماتها أنّها ثابتة ومطّردة، قال تعالى: (سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا) (الإسراء: ٧٧)، (وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) (الأحزاب: ٦٢).

ومن شأنها كذلك العموم والتجرد وعدم المحاباة؛ قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (النساء: ١٢٣)، وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٥).

وقد اضطرب أداء المعنيين بالتغيير على مستويات عديدة، كان من أهمها مستوى التعامل مع السنن، حيث وقع الارتباك في التعاطي معها؛ فلم نفلح في استثمارها ولم نفلت من وقع صرامتها وحسمها، فنحن -مثلاً- نحسن الانتظار ونتقن التشوف لما تطويه الأقدار، ننتظر أخذ الله للظالمين المجرمين، لكنّنا -فقط- لا نرى سوى ذلك الجانب السببي منها، وهو أنّ الطغيان سبب للأخذ من الواحد الديّان، وأنّ من طغى وتمادى في طغيانه فهو تحت طائلة الأخذ الشديد بموجب السُّنة الجارية الماضية، لكنّ تنفيذ هذا الحكم الذي قضت به هذه السُّنة قد يأتي عن طريق سُنة أخرى جارية وهي سُنّة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧)، فأين فعلنا الذي يتوقف عليه عمل هذه السُّنة؟ هذه بعض المنطلقات لحسن التعاطي مع النوازل والمستجدات في الميدان السياسي، والله المستعان.■

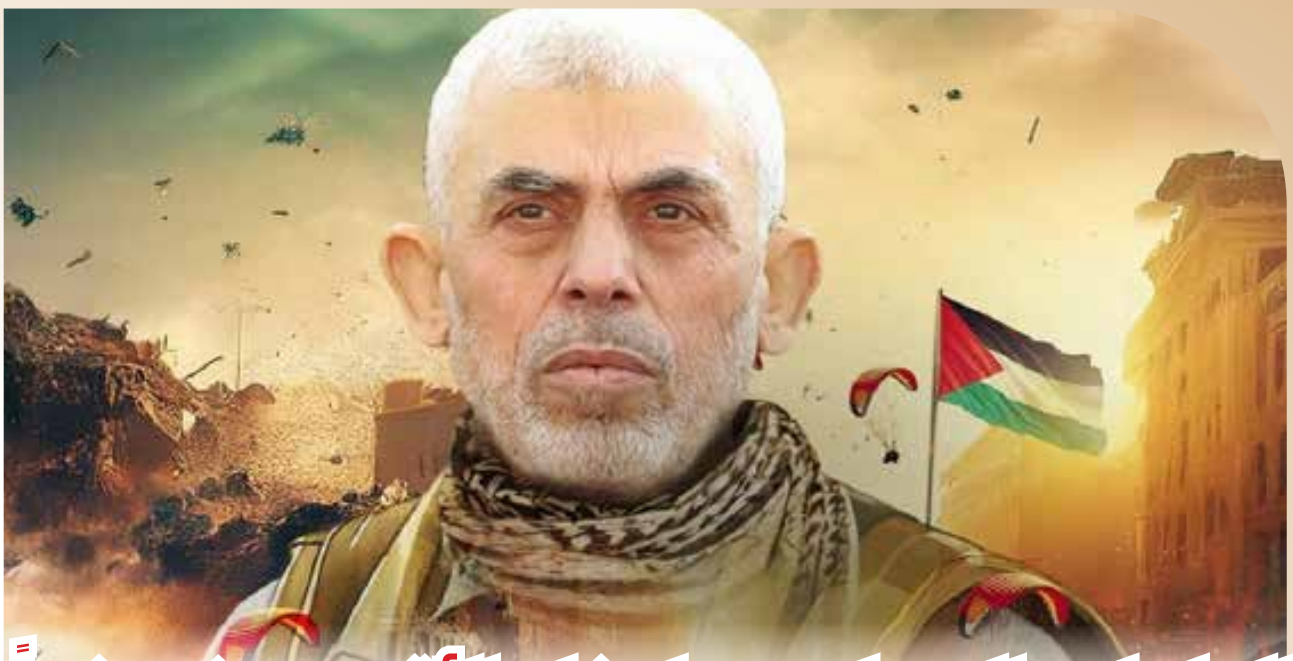

العلماء والجهاد.. «طوفان الأقصى» نموذجاً

تعيش الأمة الإسلامية اليوم محطة من أخطر محطات تاريخها المعاصر، فثبات المقاومة في غزة خلال عام ونصف عام يقدم نموذجاً جهادياً فريداً، بدأ يستنهض الأمة، ويصنع الجيل الصاعد، ويغير معادلات المنطقة، وفي المقابل، فإن الإبادة الجماعية التي تعرض لها أهلنا في غزة خلال «طوفان الأقصى» تفوق خسائرها الوصف.

د. عبدالله أبو عليان
عميد كلية الدعوة الإسلامية بقطاع غزة

رأينا خلال معركة «طوفان الأقصى» عشرات المواقف العلمائية الجماعية والفردية التي قامت بواجبها في المناصرة والمجاهدة والمناصحة، ووقفنا على مواقف أخرى وهَّنت موقفنا، ولمزت جهادنا، وأضعفت صفنا، وجميعهم يرفع شعار النصح والحرص، فإن كان مقصود الجميع خيراً فلماذا تباينت المواقف؟ وطالما أن الجهاد لتحرير بقعة محتلة من أرض المسلمين واجبٌ فلماذا لم يقم المسلمون بواجبهم؟ وما الدور المأمول من العلماء في مشروع الجهاد لنميز المجاهد من القاعد؟

يحسن في البدء الإشارة إلى أن العلم الشرعي يشترك مع الجهاد بأنه محتاج إلى القوة والجرأة والشجاعة والتضحية، فالضعيف لا يفلح فيه، والخائف لا يحقق رشاداً ولا نصراً، وكلا المجالين يفتقر إلى الإعداد والاجتهاد، بل يتطلب استنفاراً وإنذاراً، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢)، والاجتهاد فيهما يتطلب نصب موازين الترجيح بين المصالح والمفاسد المتعارضة؛ لذلك، أنزل الله سبحانه مع رسله الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، والعلماء ورثة الأنبياء في تمييز الراجح من المرجوح، وتغليب الفاضل على المفضول.

قال ابن تيمية: «ليس العاقل من عرف

قضايا الجهاد والسياسة الشرعية تتطلب الرجوع فيها إلى أهل الشريعة والسياسة والحرب

الخير من الشر، ولكن من عرف خير الخيرين وشر الشرين»، فمن أهم أسباب الاختلاف في الحكم على «طوفان الأقصى» بأنه انتصار أو انكسار عدم الاتفاق على معيار ننطلق منه في الموازنة والحكم، واختلاف هذا المعيار انعكس على مواقف العلماء من المعركة، بل وعلى مواقفنا من العلماء، وتباينت المواقف بشأن طبيعة الأدوار المطلوبة من العلماء في هذه المعركة، ومدى قيامهم بواجبهم، لذلك جاء هذا المقال لتوضيح بعض النقاط المهمة، نجملها على النحو التالي:

١- قضايا الجهاد والسياسة الشرعية من أبواب الدين التي ينبغي الرجوع فيها لأهل الشريعة وأهل الواقع والسياسة والحرب، ولا يصح الإفتاء فيها بمعزل عن المعطيات الواقعية، والاجتهاد الجماعي أصوب فيها من الرأي الفردي؛ لما في الشورى الجماعية من خير وبصيرة؛ (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)

(الشورى: ٣٨)، فالاجتهاد التأصيلي يستفاد من نصوص الوحي وفتاوى العلماء، أما تنزيل هذه الأحكام على الواقع فهو من الاجتهاد التطبيقي الذي يرجع فيه إلى العلماء وأهل الواقع والجهاد.

٢- واجب العلماء الأساسي بيان الحق ودعوة الناس له، وتبصير الساسة والقادة والمجاهدين والعامة بواجباتهم، قال تعالى: (وَإِذَ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) (آل عمران: ١٨٧)، فالبيان جهاد العلماء المتعين في حقهم، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بن عَبْدِ الْمُطَّلِب، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ، فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ، فَقَتَلَهُ» (الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٦/ ٤٣٢))، فدور العلماء في الجهاد تسديد وترشيد.

وإن وجود مناصحة شرعية من العلماء للساسة والقادة والمجاهدين في السر والعلن، من الخير الذي نحمد الله عليه، والواجبات التي ينبغي القيام بها وتكثيرها، على أن تكون منسجمة مع المنهج الشرعي مضموناً وأسلوباً، فالمجاهدون الذين يضحون بالغالي والنفيس أحوج الناس إلى النصح والدعاء، وكلما رشد العمل الجهادي، وضاقت الفجوة بين أهل العلم والجهاد والسياسة كنا أقرب إلى النصر والفرج بإذن الله.

٣- كلام الفقهاء القدماء حول جهاد الدفع والطلب، والثبات أو الانهزام، والمعاهدات والمهادنات، ومعيار العدد في التولي يوم الزحف، ينبغي أن يوضع في سياقه التاريخي، ويستحضر فيه شكل الحروب وقتهم، وطبيعة الموازين الدولية آنذاك، وحال الأمة قوة وضعفاً في حينه، وحجم الضرر اللاحق بالمسلمين وبعدوهم، فكلامهم عن عدم وجوب الثبات رخصة جائزة لا تعني حرمة الثبات إلا إن انعدم إمكان النفع والإثخان، والواقع يشهد أن خسائر العدو فادحة كبيرة.

اختلاف المواقف حول «الطوفان» يعود إلى عدم الاتفاق على معيار موحد في الموازنة والحكم

على العلماء قول كلمتهم بقضايا الأمة والجهاد مع مراعاة فقه الواقع والمآلات دون مداهنة للحكام

ثم إن ما وقع في السابع من أكتوبر لا ينطبق عليه معيار جهاد الطلب من كل الوجوه وإن شابهه من بعضها، إذ وقوع فلسطين تحت احتلال يجعلها في حالة دفع عامة، ووقوع السابع بمبادأة من المجاهدين يجعلها أقرب في الموازين لجهاد الطلب من حيث اختيار التوقيت والمكان، وهذا التداخل يجعلنا أمام حالة جديدة مختلفة تتطلب اجتهاداً آخر يراعي روح النصوص ومقاصدها الشرعية العامة.

٤- الجهاد بابه واسع يشمل بذل الجهد واستفراغ الوسع في كل وسيلة تنصر الإسلام، وفي المقدمة منها الجهاد العسكري بالقتال والسنان، وجهاد الحجة والبيان واللسان، وجهاد تطبيب الناس وإسعافهم، وجهاد إغاثتهم وإرشادهم وتعليمهم، والجهاد الاجتماعي بالقيام على ذوي المجاهدين والشهداء.

وعلماء الإسلام على مدار التاريخ قاموا بواجبهم في الجهاد العلمي والدعوي وساندوا في الجهاد العسكري، ووجود نماذج فريدة من العلماء المجاهدين بالسنان واللسان كالعز بن عبدالسلام، وابن تيمية، يصلح في مقام التربية وصناعة القدوات والحث على الاقتفاء بآثارهم، دون عده معياراً للمفاصلة والحكم بالخذلان والتولي على من سلك باباً جهادياً آخر.

٥- قام كثيرٌ من علماء الشريعة خلال «طوفان الأقصى» بجهود كبيرة في استنهاض الأمة الإسلامية، وإغاثة أهل غزة في مجالات الحياة المختلفة، وتصدير البيانات والفتاوى في شأن مجمل الأحداث المفصلية، والإجابة عن أسئلة الغزيين من المجاهدين والنازحين، وأطلقوا مبادرات عديدة في الضغط على صناع القرار في العالم الإسلامي، إلا أن هذه الجهود لا توازي وطأة الأحداث، والمجازر المرتكبة، والمجاعة الممتدة.

ومن حسن ظن المجاهدين بالعلماء أنهم طالبوهم بمواجهة الأنظمة الظالمة، والعمل على تغيير المعادلات الدولية، وتقديم نماذج في الفداء والتضحية، وتأملوا منهم أن يتعاملوا بثبات غلام الأخدود ولو أفناهم الخصوم عن آخرهم، وعندما شاهدوا الأدوار المنخفضة أصيبوا بخيبة أمل.

ختاماً، فإن واجب العلماء أن يقولوا كلمتهم في قضايا الأمة والجهاد، من منطلق الواجب والمسؤولية، وفق ما يترجح عندهم أنه الحق، مع مراعاة فقه الواقع والمآلات ومنهج تغيير المنكر، دون مداهنة للحكام أو مجاراة للجماهير، وعلى المجاهدين الاهتداء بآراء العلماء ومشاورتهم في شأن الجهاد وقراراته الكبرى، وإحسان الظن بهم، والانتفاع بالحق الذي معهم، ورد اجتهاداتهم التي تخالف مسلك المجاهدين أو تجافي الواقع بالتي هي أحسن، فالاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد، والجهاد بلا بصيرة تيه، وعلم الشريعة بلا جهاد يترجمه أمنيات، والتكامل بين العلماء والمجاهدين سداد ورشاد ■

أخلاقيات السياسة الشرعية في التعامل مع العدو المحارب

د. كمال أصلان
أستاذ فلسفة الأخلاق والفكر الإسلامي

الحروب في الإسلام ليست دينية، أي يمليها التعصب الديني ضد أتباع الديانات الأخرى، فالإسلام دين التسامح الذي يُقر بوجود الأمم والشعوب والأديان الأخرى، ولا يريد إبادة المخالفين في الدين، ولا يجيز الإكراه على الدين أو الاعتقاد، ويتعايش المسلمون مع غيرهم على صعيد راسخ من السلم والأمان، وحرية ممارسة الشعائر الدينية لغير المسلمين، قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

وقال ابن تيمية: «لا نُكره أحداً على الدين، والقتال لمن حاربنا ماله ودمه، وإذا لم يكن من أهل القتال لا نقتله، ولا أحد ينقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكره أحداً على الإسلام، لا ممتنعاً ولا مقدوراً عليه، ولا فائدة في إسلام مثل هذا، لكن من أسلم؛ قُبل منه ظاهر الإسلام» (السياسة الشرعية، ص ١٢٣).

والإسلام كدين شامل وضع أسساً واضحة للتعامل مع الأعداء المحاربين، سواء في حالة الحرب أو السلم، هذه الأسس تستند إلى مبادئ العدل، والرحمة، واحترام الكرامة الإنسانية، حتى في خضم الصراعات الدامية، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٨).

ومن أهم الأخلاقيات التي يجب أن يسير عليها المحارب:

أولاً: عدم قتل غير المحاربين وحماية الممتلكات العامة:

اتفق أهل العلم على عدم جواز قتل الشيوخ، والنساء، والصبيان، والولدان في الحرب، باستثناء المشتركين والمساعدين فيها، فإنهم يقاتَلون، ولا عصمة لدمائهم.

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي قادة الجند بالتقوى، ومراقبة الله تعالى ليدفعهم إلى الالتزام بأخلاق الحروب، ومن ذلك أنه يأمرهم بتجنب قتل الولدان؛ فيروي بريدة فيقول: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أمَّر أميراً على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، وكان مما يقوله: «ولا تقتلوا

الحروب في الإسلام ليست دينية يمليها التعصب ولا إبادة المخالفين في الدين

وليداً) (رواه مسلم)، وفي رواية أبي داود: (ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً، ولا صغيراً، ولا امرأة»، ويحرم الإسلام تدمير الممتلكات العامة والخاصة دون ضرورة.

ثانياً: عدم قتل المتعبدين والرهبان

ذهب أكثر أهل العلم إلى أنه لا يجوز قتل الرهبان والأحبار المسالمين في صوامعهم ومنازلهم، وكذلك أهل الكنائس الذين لا يخالطون الناس ولا يتزوجون، ولم يكونوا أهل رأي وتدبير في الحرب، فإن قاتلوا أو ساعدوا، أو حرّضوا على القتال قُتلوا، وكان النبي صلى الله عليه وسلم، إذا بعث جيوشه قال: «اخرُجوا باسمِ اللَّه قاتلوا في سبيلِ اللَّه منْ كفرَ باللَّه، ولاَ تعتَدوا، ولا تَغلُّوا، ولاَ تُمَثِّلوا، ولا تقتُلوا الولدانَ، ولا أصحابَ الصَّوامعِ» (رواه أحمد).

ثالثاً: تجنب الخيانة والغدر:

كان من وصيته صلى الله عليه وسلم للجيش: و«لا تغدروا»، وقد وصلت أهمية هذا الأمر عند النبي صلى الله عليه وسلم أنه تبرأ من الغادرين، ولو كانوا مسلمين، ولو كان المغدور كافراً؛ فقد قال: «من أمَّن رجلاً على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل، وإن كان المقتول كافراً» (رواه البخاري وغيره).

وقد ترسخت قيمة الوفاء في نفوس الصحابة، حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه في ولايته أن أحد المقاتلين قال لمحارب من الفرس: لا تخف، ثم قتله، فكتب رضي الله عنه إلى قائد الجيش: إنه بلغني أن رجالاً منكم يطلبون العلج (الكافر)، حتى إذا اشتد في الجبل وامتنع يقول له: لا تخف، فإذا أدركه قتله، وإني والذي نفسي بيده لا يبلغني أن أحداً فعل ذلك إلا قطعت عنقه.

رابعاً: عدم استهداف المدنيين والدبلوماسيين:

لا يجوز قتل المدنيين غير المحاربين من الرجال كالحرّاس والعسيف (الأجير الذي يستهان به)، والأعمى، والمقعد والزمن (الذي لا حراك فيه)، والجريح، والمجنون، والمعتوه، والسائح في الجبال

الإسلام وضع أسساً للتعامل مع الأعداء المحاربين منها العدل والرحمة

ذهب أكثر أهل العلم إلى أنه لا يجوز قتل الرهبان والأحبار المسالمين في صوامعهم

الذي لا يخالط الناس، وكبار السن، والمرضى، والمزارعين، وذوي الصناعات والتجارات، ومن في معناهم، والسبب في عدم قتلهم أنهم ليسوا من أهل القتال فلا يُقتلون، لكن إن قاتل منهم أحد قتل، وكذا لو حرّض على القتال، أو دلّ على عورات المسلمين، أو كان الكفرة ينتفعون برأيه وماله، أو كان مطاعاً في قومه، لوجود القتال من حيث المعنى.

ولا خلاف بين أهل العلم في عدم جواز قتل الرسل، ومن في معناهم من السفراء، وأفراد البعثات الدبلوماسية والتمثيل القنصلي وسائر المستأمنين إلا إذا شاركوا في القتال حقيقة، أو معنى.

فلم تكن حروب المسلمين حروب تخريب كالحروب المعاصرة التي يحرص فيها المتقاتلون من غير المسلمين على إبادة مظاهر الحياة لدى خصومهم، بل كان المسلمون يحرصون أشد الحرص على الحفاظ على العمران في كل مكان، وظهر ذلك واضحاً في كلمات أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما وصّى جيوشه المتجهة إلى فتح الشام، وكان مما جاء فيها: «ولا تفسدوا في الأرض»؛ وجاء أيضاً في وصيته: «ولا تُغرقن نخلاً ولا تحرقنها، ولا تعقروا بهيمة، ولا شجرة تثمر، ولا تهدموا بيعة».

خامساً: الإحسان إلى الأسير والإنفاق عليه:

أكثر العلماء على أن الإمام مخيّر في الأسرى؛ منها المنّ عليهم، ومنها الاسترقاق، ومنها القتل، ومنها الفداء، والأمر مرتبط بخطورة الأسير، ومدى عداوته للمسلمين، فإن النبي صلى الله عليه وسلم إنما قتل منهم من تمادى في عداوته للإسلام وأهله (أبي بن خلف الجمحي)، وقد قتله يوم «أحد»، كما ينظر إلى تعامل العدو مع أسرى المسلمين عنده، فإن قتل أسرانا قتلنا أسراه، وإن قبل التبادل قبلناه.

وموضوع الأسرى يخضع للسياسة الشرعية والواقع، ولا مانع من الالتزام بالمواثيق الدولية في هذا الأمر إذا احترم العدو هذه المواثيق ولم يخالفها.

ودعا الإسلام إلى الإنفاق على الأسير، وذلك بحكم ضعفه، وانقطاعه عن أهله وقومه، وشدة حاجته للمساعدة، وقد قرن القرآن الكريم البر بالأسير ببر اليتامى والمساكين؛ ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان: ٨).

سادساً: الرحمة وعدم التمثيل بالجثث:

حرّم الإسلام التمثيل بجثث العدو بعد الظفر بهم والنصر عليهم بأي نوع من أنواع التمثيل، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المُثْلَة والنُّهْبَى، فروى عبدالله بن زيد رضي الله عنه قال: «نَهَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنِ النُّهْبَى، وَالْمُثْلَةِ» (رواه البخاري)؛ والنُّهْبَى: أخذ المرء ما ليس له جهاراً، والمُثْلَة: التنكيل بالمقتول، بقطع بعض أعضائه.

ورغم ما حدث في غزوة «أُحُد» من تمثيل المشركين بحمزة عمِّ النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يُغيِّر مبدأه، بل إنه هدَّد المسلمين إن قاموا بالتمثيل بأجساد قتلى الأعداء، فقال: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا، وَإِمَامُ ضَلَالَةٍ، وَمُمَثِّلٌ مِنَ الْمُمَثِّلِينَ» (رواه أحمد).

إن أخلاقيات السياسة الشرعية في التعامل مع العدو المحارب تُظهر مدى رُقي الإسلام وتكامله كدين يدعو إلى العدل والرحمة واحترام الكرامة الإنسانية، حتى في أوقات الصراع، وهذه المبادئ الأخلاقية ليست فقط تعاليم دينية، بل هي أيضاً قواعد أخلاقية وإنسانية يمكن أن تسهم في تقليل وحشية الحروب وحماية المدنيين من آثارها المدمرة.■

التوازن بين المصلحة الشرعية والموقف العقائدي في التحالفات السياسية.. المقاومة الفلسطينية نموذجاً

تثار بين حين وآخر إشكاليات حول أسس التحالفات السياسية في الإسلام، وأوجه التوازن بين المصلحة السياسية والموقف العقدي، وهو ما وضحه علماء شريعة وفقه وسياسة شرعية تحدثوا لـ"المجتمع"، منطلقين من أبعاد القضية الفلسطينية، وما يطرحه البعض من تساؤلات وآراء، حول تعاون المقاومة الفلسطينية وفي مقدمتها حركة المقاومة الإسلامية (حماس) مع إيران في مواجهة العدو الصهيوني.

تحقيق – حسن القباني:

في البداية، يرى يوضح أستاذ العلوم السياسية د. سيف الدين عبدالفتاح، في حديث لـ"المجتمع"، أن مثل هذه النقاشات، تحمل بعداً معقداً متداخلاً مركباً، ولذلك لا يجوز بأي حال من الأحوال التعامل معها بصورة مختزلة، موضحاً أن الاختزال في هذا الباب أمر خطير.

ويضيف د. عبدالفتاح أنه من الناحية المنهجية، يجب إيلاء الاعتبار للسياقات الواقعية، وبناء على ذلك، فإن تعامل المقاومة مع ما يوصف بالجانب الشيعي الإيراني، ومعاونيه ممن يرتبط بالنظام الإيراني، يجب التوقف عنده كثيراً، فإذا كانت التحالفات يمكن أن تحدث مع دول غير مسلمة، وتكوينات غير مسلمة، فمن باب أولى أن تحدث مع دول مسلمة وتكوينات إسلامية، خاصة أن مسألة الشيعة، مختلف عليها في التكفير، الذي يجب أن يحتاط فيه بشكل كبير، كما أن طرح تحالف إيران و"حزب الله: مع نظام بشار البائد، في هذا السياق، يمكن أن يدخل من الأمور التقديرية المختلف عليها، رغم أن بعض السوريين يجدون في ذلك غضاضة ولكن لا بأس.

د. عبدالفتاح: التحالفات إما ضرورية أو إستراتيجية.. ونقاشاتها معقدة ومتداخلة

ويوضح أن المقاومة في حالة ما يسمى "تحالف الضرورة"، مشيراً إلى أن التحالفات إما إستراتيجية أو وقتية تحث عليها الضرورات، التي يحكمها قواعد الضرورة في الشريعة الإسلامية، ومنها أن الضرورات تبيح المحظورات، وأن الضرورة تقدر بقدرها مكاناً وزماناً وإنساناً وأحوالاً، ومن هنا وجب علينا النظر في هذا الأمر من هذه الزاوية، خاصة أن الدول المسماة السُّنية في هذا الإطار لم تقدم أي عون جدي أو دعم للمقاومة.

ضوابط التعاون

بدوره، يؤكد د. هاني محمود الأزهري، أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق في جامعة عين شمس بمصر، مدرس الفقه الإسلامي السابق بالجامع الأزهر الشريف، في حديثه لـ"المجتمع"، أنه لا حرج شرعاً في تعاون المقاومة الفلسطينية مع أي طرف من الدائرة الإسلامية بالمعنى الواسع، خاصة أن المقاومة خياراتها محدودة، ويدخل في إطار الضرورات، خاصة أنها لا تتحالف مع أي طرف معادٍ لحقوق العرب والمسلمين في فلسطين.

ويضيف أنه مع الاختلاف مع إيران في كثير من الأمور السياسية والفكرية والعقائدية، إلا أنها تبقى في إطار في الدائرة الإسلامية الواسعة، ولها مواقفها المحمودة، كما يظهر في العلن مع المقاومة والقضية الفلسطينية، رغم تشكيك البعض

د. الأزهري: التعاون بين السُّنة والشيعة في مجال المقاومة لا يعني القبول بالمخالفات العقدية

فيها، لكن تبقى أن صاحبة الموقف الأقوى في المساندة والدعم على مستوى الدول.

ويشير د. الأزهري إلى أن التعامل بين السُّنة والشيعة موجود على مدار التاريخ الإسلامي، وليس مستجداً، بل أن الدولة البويهية الشيعية كان المفتي فيها سُنياً وهو الإمام الماوردي، أحد أئمة أهل السُّنة والجماعة، الذي لم يمنعه الاختلاف المذهبي من تولي أعلى منصب علمي شرعي في دولة شيعية، فيما يؤكد الأزهري أن مثل هذه السوابق وأمثالها جديرة بالتوقف عندها حتى يخرج المسلمون من دائرة ضيق الأفق الذي يصر عليه البعض، موضحاً أن التعاون بين السُّنة والشيعة في مجال مقاومة العدو الصهيوني لا يعني القبول بالمخالفات العقدية أو الفقهية في مذاهب الشيعة.

ويقول: نحن أمام حريق إن بادر بإطفائه أعصانا لله فليس لأتقانا لله أن ينكر عليه مبادرته، ويستدعي مساوئه، ويعيره بذنوبه، بل المطلوب شرعاً وعقلاً في هذا المقام أن يشد من أزره، ويثني على مبادرته، مع استمرار النصح والحوار بالحسنى وفقاً لقاعدة: "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ونتحاور فيما اختلفنا فيه"، خاصة أن الرسول صلى الله عليه وسلم عقد الأحلاف مع الكفار، ولم يمنعه من ذلك اشتمال دينهم على ما يسيء إلى ما نعتقده، والاتحاد لا يعني الرضا بالمخالفات العقدية عند الحليف، مؤكداً أنه من المنظور الإستراتيجي بلغة المصالح التي أرشد الشرع إلى توخيها ما دامت لا تخالف القطعيات: "احرص على ما ينفعك..".

حسين: نواجه حملة صليبية صهيونية وتحالف المسلمين مهم دون أن يغير أحد مذهبه أو معتقده

مسألة حياة أو موت

في السياق نفسه، يوضح المفكر الإسلامي المصري مجدي أحمد حسين، في حديثه لـ"المجتمع"، أن اختلاف المذاهب مسألة قديمة ولا تقتصر على الشيعة والسُّنة، لكن الأمة اليوم تواجه حملة صليبية صهيونية لضرب ما تبقى من فلسطين ثم لبنان وسورية ومصر والعراق على قاعدة "من النيل للفرات"، وهو ما يتطلب أن يتحالف المسلمون مع بعضهم بعضاً دون أن يغير أحد مذهبه الديني أو معتقده.

ويضيف: المقاومة، بل الأمة بأسرها تواجه مسألة حياة أو موت، والذين يطالبون المقاومة برفض الدعم المالي والتسليحي والتدريبي والتكنولوجي من إيران عليهم أن يقدموا لها البديل، وبدون بديل في الدعم لا يكون أمامها سوى الاستسلام وإنهاء قضية فلسطين.

ويؤكد حسين أن هناك الرأي الذي يقول بالخلاف مع الشيعة فقط دون أن يخرجهم من الإسلام، وهذا موقف الأزهر الشريف وغيره من المؤسسات الإسلامية، منذ عشرات السنين، موضحاً أن الذي يقول بكفر الشيعة، وفق نظرته، فرأيه يجب ألا يشكل مانعاً شرعياً أو سياسياً كذلك في الحصول على السلاح من إيران، لأنه وقتها سيكون مثل الحصول على دعم من روسيا والصين، في مواجهة العدو الصهيوني، خاصة أن المقاومة الفلسطينية لن تتشيع ولن تدخل الشيوعية، مشيراً إلى أن المتعصب لمذهبه فليحارب وحده ويثبت جدارته والأمة كلها ساعتئذ ستسير خلفه.■

فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا

أ.د. جمال عبدالستار
أستاذ بجامعة الأزهر،
رئيس مؤسسة التجديد

لا ينبغي للمسلم أن يتخذ العدو المتربص ولياً أو صديقاً أو يجهل مخططاته أو يتماهى مع كفره وفجوره

لا شك أن الله تعالى حذرنا في أول سطور خطاب التكليف الإلهي لآدم وزوجه حين أهبطهما إلى الأرض مع إبليس الذي أغواهما في التجربة الآدمية الأولى، من عدو متربص ومنهجية قائمة لا تتوقف، قال الله تعالى: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ (الأعراف: ٢٤).

وهذا العدو ليس مجرد شيطان من الجن فحسب، بل هي منهجية متكاملة يتنافس فيها شياطين الإنس والجن على إنجاحها، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (الأنعام: ١١٢).

وقد رسم القرآن منهجية غاية في الوضوح للتعامل مع العدو المتربص، وأرسى قوانين راسخة، بل إن الأمة لم تهزم في معركة مع عدوها إلا بمخالفتها قانوناً أو أكثر من تلك القوانين.

فالقرآن أوضح بداية ميدان المعركة الأصيل وهدفها المعلن؛ حتى لا يتردد متردد، ولا يتماهى متكاسل، فقد قال تعالى عن هدف تلك المعركة المستمرة على مدار العصور والأزمنة: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: ٢١٧).

فعداوتهم قد تظهر في نهب اقتصادي، أو إفساد اجتماعي، أو استبداد سياسي، أو انحراف قيمي، أو غير ذلك، ولكن الهدف الأصيل من عداوتهم هو تلك العقيدة التي يحملها المسلم في قلبه، لذا قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (النساء: ٨٩)، وقال سبحانه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: ١٢٠).

وقد رسم لنا القرآن خريطة للتعامل مع العدو المتربص، تبدأ خطواتها الأولى بمعرفة حقيقة عداوته وخطورته واتخاذه عدواً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ (فاطر: ٦)، ولم يكتف القرآن ببيان ذلك، بل أردفه ببيان الواجب فقال: ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (فاطر: ٦).

فلا ينبغي للمسلم أن يتخذ العدو المتربص ولياً أو صديقاً، أو يغفل عن عداوته، أو يجهل مخططاته، أو يتماهى مع كفره وفجوره.

وقد بين الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وللأمة على مدار عصورها منهجيات العدو؛ لندرك حجم خطورة المعركة وطبيعة الطريق، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٥).

وهناك واجبات نجمل أهمها فيما يأتي:

الأول: الإعداد:

يجب على الأمة أن تقوم بواجب الإعداد لمواجهة العدو؛ حماية لثوابتها من إجرامه، ولمقدساتها من اعتدائه، قال تعالى في تكليف بالغ الوضوح: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠)؛ فعلى الأمة أن تجعل من هذا التكليف خطة عملية في كل أحوالها، وألا تتخلف عنه بحال، والمسلم مع واجب الإعداد لا يخلو من حالة من ثلاث:

١- ميدان الوغى: إن كان المسلم في ساحة الحرب مدافعاً عن عقيدته وعرضه ومقدساته، فهو مجاهد على أعلى درجات الجهاد، فله منزلته حينذاك بالفوز بإحدى الحسنيين؛ النصر أو الشهادة.

٢- ميدان الإعداد: إن لم يكن في ساحة القتال مباشرة، وانشغل بتوفير وسائل الإعداد المتاحة ومجالاته المشروعة ومتطلباته المتنوعة، فهو مجاهد في سبيل الله تعالى، يؤجر على كل خطوة يخطوها أو كلمة يعلنها أو نفقة يخرجها، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ (التوبة: ١٢٠).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه الذي يحتسب في صنعته الخير، والذي يجهز به في سبيل الله، والذي يرمي به في سبيل الله» (أخرجه أبو داود، والترمذي،

يجب على الأمة أن تقوم بواجب الإعداد لمواجهة العدو حماية لثوابتها من إجرامه ولمقدساتها من اعتدائه

وغيرهما، وصححه الألباني) والأمة التي لا تعد أبناءها ليموتوا شهداء في ميدان العز والكرامة، ستفقدهم حتماً في ميادين الغدر والخيانة.

٣- القعود والخذلان: إن لم يكن المسلم في ساحة الجهاد مقاتلاً، ولا في ميدان الإعداد مناضلاً، فهو إذاً في ميدان الخذلان قاعداً، قال تعالى عن أصحاب هذه الحالة: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (التوبة: ٤٦).

الثاني: مجاهدة العدو ومناجزته:

على الأمة أن تجاهد عدوها المتربص؛ حماية لأجيالها من الفتنة في دينها وعقيدتها وإفساد فطرتها، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾(البقرة: ١٩٣)؛ وأي فتنة للمسلم أعظم من أن يعيش محروماً من شريعة ربه التي يتحاكم إليها، ومن منهجية رسوله صلى الله عليه وسلم التي يقتدي بها، ومن كرامته التي تصان، ومن هويته التي يتمسك بها ؟!

لذا كان التكليف النبوي للأمة أن تجاهد بكل الوسائل المتاحة، قال صلى الله عليه وسلم: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» (رواه أبو داود، وغيره، وصححه الألباني).

الثالث: عدم التهاون في عداوته:

يجب على الأمة أن تستمر في مقاومتها لأعدائها، وألا تركن إلى الضعف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ (النساء: ١٠٤)، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٥).

الرابع: عدم موالاتهم:

نهى القرآن عن كل صور الموالاة والتماهي مع منهجيات الكفر وتطبيع العلاقات مع المعتدين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١)؛ واتخاذهم أولياء هو اعتبارهم أصدقاء وأحباء وأنصاراً، ويظهر ذلك بالحفاوة بهم، وإكرامهم، وتعظيمهم.

ومما يوضحه قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (المجادلة: ٢٢)، وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ (الممتحنة: ١)؛ فدلت الآيتان على أن اتخاذهم أولياء يتضمن مودتهم ومحبتهم، وقال تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (المائدة: ٨٠).

وقد فسر العلماء «التولي» في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾(المائدة: ٥١)؛ بمعنى نصرتهم على المسلمين؛ ولهذا كانت مظاهرة الكفار ومعاونتهم ضد المسلمين من أنواع الردة؛ لأن ذلك يستلزم مقاومة الإسلام والرغبة في اضمحلاله، وذل أهله.

فالمسلم لا يوالي الكافر، ولا البر يوالي الفاجر؛ فإذا والاه كان ذلك دليلاً على نقص إيمانه، أو على زوال إسلامه، وهذا من صور المروق عن الإسلام، فالذي لا يستطيع جهاد أعدائه بالسيف، فعليه أن

للسياسة الشرعية منهجية تتعامل بها مع العدو بصفة عامة تنبع من مبدأ العدل والقصد في الإسلام

يقاطعهم على الأقل، ولا يسهم في نفعهم اقتصادياً أو تجارياً؛ إذ كل دعم لهم يعني تقوية شوكتهم وإمدادهم بأدوات يفتكون بها بالمسلمين.

منهجية السياسة الشرعية في التعامل مع العدو:

للسياسة الشرعية منهجية تتعامل بها مع العدو بصفة عامة، تنبع من مبدأ العدل والقصد في الإسلام؛ فهي ترتكز على درء الفساد وحفظ المصالح العامة، مع التزام القيم الأخلاقية في أقصى درجاتها، وتطبيق أحكام الشريعة التي تصون الأرواح والأموال والأعراض، دون تجاوز أو انتقام يستبيح الضعيف أو ينحرف عن ميزان العدالة.

وتضع هذه السياسة في اعتبارها تحقيق مقصدين جليلين؛ حقن الدماء قدر الإمكان، وحفظ المجتمع الإسلامي من عاديات العدو وهجماته؛ فلا تترك الساحة للفوضى أو الانتقام، بل تدار وفق ضوابط تجمع بين الدفاع المشروع والمسالمة حين يتيسر سبيلها.

ويتلخص كل ذلك في آيتين واضحتين تؤسسان لتلك المنهجية؛ قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة).■

حول النظام السياسي الإسلامي

د. حاتم عبدالعظيم
أستاذ الفقه الإسلامي وأصوله

جاء الإسلام ليبني نسقاً حضارياً متكاملاً مبنياً على أصول عقيدته وشريعته، قال تعالى: (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) (الشورى: ١٣)، وإقامة الدين في الآية الكريمة تعني إقامة نظامه العام وبناء الأنساق الحضارية المختلفة على مقتضاه؛ بحيث يكون المرجعية العليا الجامعة لأبناء المجتمع المسلم فلا يختلفون ولا يتفرقون، وتلك المرجعية تتأسس على ثوابت الوحي وكلياته العقدية والشرعية والأخلاقية التي تواطأ عليها جميع الأنبياء بالبلاغ وجميع الكتب السماوية بالبيان.

إذا كان من وظائف الدين بناء الحضارة التي تعبر عن ثوابته ومقاصده، فإن ذلك ينعكس ولا بد على كل جوانب الحياة في المجتمع المسلم، وهو ما عبر عنه كثير من المفكرين المعصرين بمبدأ «شمول الإسلام»؛ وهو مبدأ صحيح متقرر تأصيلاً في الكتاب والسُّنة، وتنزيلاً في تاريخ المسلمين الطويل المزدهر.

وإذا كان للإسلام مشروعه الحضاري المتكامل الذي بيَّن الوحي أصوله، ووضع النبي صلى الله عليه وسلم لبناته الأولى، وحاولت الأمة أن تكمل المسيرة بعد نبيها فأصابت حيناً وأخطأت أحياناً، فإننا مطالبون دائماً بتجديد الدين؛ بمعنى إدراك جوانب النقص أو الخلل أو الانحراف في واقعنا الحضاري، والسعي لتقويم الانحراف وإكمال النقص، وقد جعل الله من سننه الجارية في هذه الأمة المباركة أن يبتعث من أبنائها على

النظام السياسي الإسلامي لا شك تضرر كثيراً بالانتقال من الخلافة الراشدة إلى المُلْك العاضّ حيث غُيِّبت الشورى

رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها؛ أي: فاعلية الدين في واقعها وقيادته لمسيرتها على نحو من الرشاد والهداية.

وقد بنت الأمة ضمن منظومتها الحضارية نظامها السياسي الفريد الذي ولد بالهجرة النبوية، واستبانت معالمه بوضع النبي صلى الله عليه وسلم لدستور المدينة الذي كان بمثابة ميلاد لدولة دستورية قانونية متعددة المكونات، مرجعيتها العليا شريعة الإسلام، وتضمن ذلك الدستور أكثر من خمسين مادة دستورية شديدة الإحكام، بينت النظام العام لدولة المدينة والحقوق والواجبات المترتبة على مواطني هذه الدولة والمحظورات الكبرى التي جرمها دستور المدينة، وارتضته كل مكونات المجتمع وقتئذ، ولا يزال ذلك الدستور الإسلامي الأول بحاجة إلى مزيد من الدرس لاستيعاب فلسفته ومنطلقاته في بناء الدولة.

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، اجتمع ممثلو الأمة في سقيفة بني ساعدة وتداولوا الرأي بينهم ليخرجوا على الناس باتفاقهم على ترشيح أبي بكر لخلافة النبي صلى الله عليه وسلم، وتقبل جموع الأمة ترشيح أبي بكر وتبايعه بيعة عامة انعقدت له بموجبها مشروعية الخلافة، ثم جربت الأمة نماذج وطرقاً أخرى في اختيار عمر، ثم عثمان، قبل أن تطل الفتنة برأسها وتحول بين الأمة ومواصلة مسيرة التطوير في بناء نموذجها السياسي الذي يسهم مع غيره من النظم في بناء حضارة الإسلام، أو إقامة الدين بالتعبير القرآني.

ولا شك أن النظام السياسي الإسلامي قد تضرر كثيراً بالانتقال من الخلافة الراشدة إلى الملك العاض؛ فغيبت شورى الأمة في اختيار حكامها وحقها في انتداب الأكفاء الأمناء لقيادتها، وصارت البيعة إجبارية بحكم الوراثة أو ولاية العهد التي عطلت الشورى العامة؛ التي هي واحدة من القيم المركزية للنظام الإسلامي، وأحلت محلها ما ليس من هدي الإسلام في شيء.

ورغم النقص الذي دخل على الأمة في نظامها السياسي، فإن كثيراً من عُرى ذلك النظام بقيت صحيحة متماسكة؛ فبقيت الشريعة مرجعية القضاء والأحوال الشخصية، وبقي النظام الاقتصادي بعيداً عن الربا وثقافة الاستهلاك، وبقيت شعائر الإسلام العامة غالبة على المجتمع، حتى دخلت الأمة في الطور الثالث؛ طور المُلك الجبري بالعبارة النبوية الذي عطل كل النظام الإسلامي، واتخذ للأمة مرجعية أخرى مستوردة ما زالت الأمة ترفضها وتسعى للتخلص منها والعودة إلى نسقها الحضاري الأصلي وتجديد دينها على الهدي النبوي والنظام الراشدي من جديد.

وهذا التطلع من جماهير الأمة يواجَه بشبهتين كبريين؛ أولاهما: أن العالم قد وصل إلى أمثل النظم السياسية ولم يعد في إمكان العقل البشري أبدع من النظام الديمقراطي الغربي الذي صار في نظر بعض الباحثين والسياسيين التقدميين كهنوتاً جديدًا وحرماً مقدساً لا يقبل النقد ولا التقييم ولا البحث عن بديل.

والشبهة الثانية التي سارت بها ركبان الغفلة: أن الإسلام لا يملك نظاماً سياسياً محدداً، ولم يأت في باب السياسة إلا بمبادئ عامة؛ كالحرية والعدالة والشورى والمساواة والكفاية ونحوها من القيم المجردة التي يمكن صبها في أي قالب حضاري، التي يدعي بعضهم في جرأة عجيبة أن تتفق أو تكاد

القول بأن الإسلام لا يملك نظاماً سياسياً نتج عن محاولة تطويع الإسلام لقبول النموذج الغربي في لحظة انكسار

مع النظام السياسي الذي أنتجته الحضارة الغربية.

وكلتا الشبهتين تحتاج نقاشاً تفصيلياً، غير أننا في هذه المقالة سنضع نقاط نظام محددة لتفنيد الشبهتين مجتمعتين؛ إذ هما في الحقيقة وجهان لعملة واحدة:

١- القول بأن الإسلام لا يملك نظاماً سياسياً محدد المعالم مجازفة علمية لم تقم على مساءلة الإسلام ذاته، وإنما نتجت عن محاولة تطويع الإسلام لقبول النموذج الغربي في لحظة انكسار نفسي واستلاب فكري تلبّس بها بعض المتصدرين في عقود الضعف.

وقد كتب كثير من الباحثين تصورات معتبرة لنظام سياسي عصري متكامل مبني على تصور الإسلام، ومراع غاية المراعاة مقتضيات العصر، وقادر على منافسة النظام الغربي والتفوق عليه في نقاط قوته، فضلاً عن تلافيه الثغرات الكبرى التي كشفت عنها التجربة، وأدركها القاصي والداني من خلق الله إلا بعض بني جلدتنا.

٢- هؤلاء المقدسون للنظام الغربي أشبه بأصحاب غلق باب الاجتهاد الذين ظهروا في عصور ضعف الفقه الإسلامي، وهم يعترضون بشدة على ثوابت الدين فيريدون إخضاعها لمبدأ التطوير، لكنهم يقفون عاجزين أمام منتج فكري بشري يقول أصحابه: إنه أفلس وانتهى بهم لوصول أكثر شرائحهم تطرفاً وانغلاقاً إلى سدة الحكم، أما دراويش العلمانيين العرب فما زالوا يسبحون بحمد ذلك النظام، ولا يتصورون إمكانية تغيير مصطلح من مصطلحاته، في حالة عجيبة من الأحادية والانغلاق الفكري من دعاة الحداثة والتطور

النظام السياسي جزء لا يتجزأ من جملة النظم الإسلامية التي تنبني بالأساس على التصور العقدي الإسلامي

والعقلانية!

٣- يتجاهل هؤلاء عمداً أو جهلاً أن بين النظامين الإسلامي والغربي المادي تناقضاً تاماً على مستوى الأصول، ويمكن أن نضرب لذلك مثالاً من جملة أمثلة هو المتعلق بنظرية السيادة التي تراها الحضارة الغربية على مستوى الفلسفة والتأصيل، أو على مستوى التنزيل، بشرية خالصة، فالمجتمع بأغلبيته هو مرجع الخير والشر والصواب والخطأ، ويمكنه أن يغير كل شيء، في حين يتأسس النظام الإسلامي على أن السيادة لوحي الله ولا تخضع لتجاذبات البشر.

والمقصود بالسيادة هنا المرجعية القانونية العليا الحاكمة لكل السلطات، والقواعد الحاكمة لكل التشريعات، بحيث تكون مطلقة غير محدودة في مداها ولا مدتها، وغير قابلة للتغيير أو خاضعة للتصويت، وهو ما اصطلح على تسميته بـ«المبادئ فوق الدستورية»، وكل نظام سياسي يحتاج بالضرورة إلى هذه المبادئ لتضمن له الاستمرار والاستقرار والحد المقبول من الثبات.

٤- وهذه المرجعية العليا لا تلغي وظيفة الأمة، لكنها تحددها في الإطار الصحيح، فالأمة -في التصور الإسلامي- مكلفة في مجموعها بإقامة الدين، وبناء نظمها جميعاً وفقاً لثوابته المتفق عليها المعلومة بالضرورة، وما شرعه الله من سلطان للأمة بالاستخلاف وللإمام بالبيعة ليس تفويضاً مطلقاً ولا منحاً للسيادة، بل هو تكليف بسلطة مقيدة ومسؤولية محددة للقيام بواجبات الدين وتحقيق مقاصده ورعاية المصالح المعتبرة.

والنظام السياسي جزء لا يتجزأ من جملة النظم الإسلامية التي تنبني بالأساس على التصور العقدي الإسلامي، وتتآلف فيما بينها في إقامة الحياة الكريمة التي أرادها الله للبشر.

٥- تقييد سلطة الأمة بسيادة الشرع ضمانة لازمة لمنع أمرين خطيرين؛ الأول: استبداد الأكثرية على الأقليات، والثاني: منع انحراف المزاج العام -لسبب من الأسباب- إلى ما يدمر أصول الحياة الاجتماعية الرشيدة، ويخالف مراد الله من عباده، وكلاهما مشهود في واقع الناس بما لا يحتاج إلى بيان.

العقل المسلم مطالب بإبداع نموذجه السياسي غير حبيس في قوالب التاريخ ولا ذائب في أحماض الحضارة الغربية

ومن ثم، يجب التفرقة بين السيادة والسلطة؛ فالسيادة دائمة والسلطة مؤقتة، والسيادة مطلقة والسلطة مقيدة، والسيادة حاكمة والسلطة محكومة، وعليه؛ فإن أساس النظام السياسي الإسلامي يتمثل في أن السيادة للشرع والسلطة للشعب.

٦- ووفقاً لهذا التصور، السلطة السياسية في النظام الإسلامي سلطة بشرية تتمثل في مجموعة من الاجتهادات التي تسعى لتنزيل الكليات والأحكام الشرعية تنزيلاً صحيحاً على واقع المجتمع، وإلى رعاية المصالح المعتبرة، وبذل غاية الوسع في تحقيق هذين المقصدين، وهي في ذلك تصيب وتخطئ وتحتاج إلى الرقابة والتقويم الدائمين.

أما العصمة فللدستور الإسلامي الأعلى الذي يمثل ثوابت قطعية لا يتطرق إليها الظن أو الاحتمال، ومن ثم فالسلطة في الإسلام بشرية المنشأ والطبيعة، دينية الاستمداد والمرجعية، فليست دينية بالمعنى الكهنوتي، ولا دنيوية بالمعنى العلماني.

وهذا التناقض الذي يبدو بين النظامين للوهلة الأولى سيزداد اتساعاً كلما أوغلنا في المقارنة بينهما، وهو ما لا تتسع له مقالة كهذه، وحسبنا أن نقول ختاماً: إن العقل المسلم مطالب ببذل مزيد من الجهد لإبداع نموذجه السياسي الخاص الذي يعبر عن معتقداته، غير حبيس في قوالب التاريخ، ولا ذائب في أحماض الحضارية الغربية، وتلك المعادلة على صعوبتها قابلة للتحقيق، وهي لازمة من لوازم النهوض والشهود. ■

معالم الإفتاء الراشد في نوازل السياسة الشرعية

د. مسعود صبري

محاضر بكلية الشريعة - جامعة الكويت

اهتم الصحابة وجيل السلف بفقه السياسة الشرعية منذ بواكير تاريخ الإسلام، وليس أدل على ذلك من انشغالهم بتعيين حاكم للدولة الإسلامية الناشئة يكون خليفة للنبي صلى الله عليه وسلم، وذلك قبل أن يدفنوا جسده الشريف، الذي تأخر لليوم التالي من الوفاة.

إلا أن الأحداث والاجتهادات في فقه السياسة الشرعية المعاصرة تثبت يوماً بعد يوم فقر هذا النوع من الفقه عن غيره من أنواع الفقه الأخرى، فنجد زخماً كبيراً في التصنيف والتأليف في أبواب العبادات والمعاملات المالية وفقه الأسرة وغيرها من الأبواب، إلا أن باب فقه السياسة الشرعية ما زال غير ناضج نضجاً سوياً، ولم ينل اهتمامه كما نالت الأبواب الفقهية الأخرى.

ولعل من أهم أسباب ذلك طبيعة السياسة والحكم والزهد في الاهتمام

الاجتهادات في فقه السياسة الشرعية المعاصرة تثبت فقر هذا النوع من الفقه عن غيره

والعناية بها، وقد يكون من أسباب ذلك خشية طائفة من الفقهاء أن يظهروا اجتهاداتهم التي قد تكون سبباً في إيذائهم؛ سواء إما في أنفسهم بالسجن أو التعذيب، بل والقتل، أو في أرزاقهم وقوت عيالهم، فيفصلون من وظائفهم، أو التضييق عليهم بأنواع شتى، ويضاف إلى هذا -أيضاً- أنه ليس كل فقيه أو مشتغل بالفقه عنده المَلَكة الفقهية والقدرة على الاجتهاد في نوازل السياسة الشرعية.

ولهذا، كان الإفتاء في نوازل السياسة الشرعية صعب المنال، معقداً

الإفتاء في نوازل السياسة الشرعية من أصعب أنواع الفقه والإفتاء فيه صاحبه على خطر

إلى حد كبير، لا يفتح فيه إلا على ثلة قليلة من العلماء الذين يجمعون بين التأصيل العلمي وخشية الله تعالى، والصدع بالحق لا يخافون في الله لومة لائم.

وليس خفياً على عاقل فضلاً عن أن يكون فقيهاً خطورة الفتاوى السياسية على الأمة كلها، حتى إنها كانت أحد أهم أسباب إسقاط الخلافة العثمانية، حين أفتى مفتي الخلافة العثمانية محمد ضياء الدين أفندي بجواز خلع السلطان عبدالحميد الثاني[1].

ضوابط الإفتاء في نوازل السياسة الشرعية:

ومن هنا، كان واجباً على كل فقيه أو مشتغل بالفقه من الباحثين وطلبة العلم أن يتهيأ لهذه المهمة الصعبة قبل الخوض فيها، وألا يتسارع في القول والاجتهاد في تلك النوازل قبل أن يتسلح بالتكوين العلمي الأصيل، والدربة والخبرة في صناعة الفتوى عامة وفي نوازل السياسة الشرعية خاصة، وأن يكون من أهل الاجتهاد بشروطه، كما بيّنها العلماء في كتبهم، ويضاف إليها بعض الضوابط الأخرى ذات الأهمية، ومن أهمها:

- التخصص في الفقه:

من الواجب على الفقيه السياسي أن يكون من الذين تخصصوا في علم الفقه خاصة دون غيره من العلوم، فإنه لما كان فقه السياسة الشرعية من الأمور العامة، فإنه قد تجرأ عليه من ليس من أهله من غير الفقهاء، خاصة ممن لهم ظهور إعلامي، وقد نبه الفقهاء إلى ذلك، كما قال ابن الجوزي في «صيد الخاطر» وغيره، وبين الفجوة خاصة بين الفقهاء والمحدثين، وبيّن أن من العلماء من غير الفقهاء من يقع في أخطاء لا يقع فيها صغار طلاب العلم.

- معرفة الواقع السياسي:

ومن أهم ضوابط الإفتاء في نوازل السياسة الشرعية معرفة الواقع السياسي الذي يفتي فيه، وأن يلم بالمعلومات في المسألة إلماماً كبيراً، ويحيط بملابساته، وأن يعرف عنها أدق التفاصيل بكل وسيلة ممكنة، سواء من الخبراء في المسألة السياسية محل الإفتاء، أو من خلال القراءة المعمقة من البحوث والدراسات والمقالات المتخصصة، وألا يكتفي بقراءة الصحافة، وألا يفهم المسألة بالذوق، أو بالعاطفة، أو بجمع المعلومات من بعض الأشخاص المقربين منه.

ولهذا، اشترط ابن القيم وغيره على الفقيه المجتهد معرفة نوعين من الفهم؛ فهم الواقع، وفهم الواجب في الواقع، وكيفية إنزال النصوص الشرعية على ذلك الواقع[2].

- فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد:

وهذا الفقه هو لب الفقه السياسي في الإسلام، لا سيما مع قلة النصوص الواردة في الفقه السياسي، على اعتبار قيام السياسة على تحقيق المصالح ودرء المفاسد، وهنا يختلف نظر الفقهاء في المسائل السياسية بناء على اختلافهم في تقدير المصالح والمفاسد، لكن المشكلة الأكبر هو عدم قدرة الفقيه في إدراك مراتب المصالح والمفاسد خاصة في الشأن السياسي، ومن هنا يقع كثير من الفقهاء في الخطأ عند اجتهادهم في المسائل السياسية، بل لا نكون مبالغين إن قلنا: ندر من الفقهاء اليوم من يستطيع خوض ذلك الغمار، فغالب الاجتهادية السياسية اجتهادات سطحية، يعوزها العمق.

- مراتب المصالح والمفاسد:

ومن هنا نبه الفقهاء إلى المصالح والمفاسد لها رتب، فتنقسم المصالح إلى: الحسن والأحسن، والفاضل والأفضل، كما تنقسم المفاسد إلى القبيح والأقبح، والرذيل والأرذل، ولكل واحد منها رتب؛ عاليات، ودانيات، ومتوسطات متساويات وغير متساويات.

ومن رتب المصالح والمفاسد: أن مصالح الإيجاب أفضل من مصالح الندب، ومصالح الندب أفضل من مصالح الإباحة، كما أن مفاسد التحريم أرذل من مفاسد الكراهة[3].

ومن التنبيهات المهمة أن مصالح الدنيا ومفاسدها تعرف بالتجارب والعادات[4]، وليس كل الفقهاء يطلع على التجارب والعادات.

- الترجيح بين المصالح والمفاسد:

ومن فقه المصالح والمفاسد معرفة الترجيح بينها، وهي في الجملة إما أن تكون مصلحتين، فيجمع بينهما، فإن تعذر؛ قدمت المصلحة الأعلى على الأدنى، وإما أن تكون مفسدتين، فتُدفع كلتاهما، فإن تعذر؛ دفع المفسدة الأكبر، وإما أن تكون بين مصلحة ومفسدة، فإن كانت المصلحة أكبر والمفسدة أدنى؛ انشغل بتحصيل المصلحة الأكبر، وإن كانت مفسدة أكبر ومصلحة أدنى؛ انشغل بدفع المفسدة الأكبر، وإن تساوت المصلحة والمفسدة؛ انشغل بدفع المفسدة مع فوات المصلحة.

- اختلاط المصالح والمفاسد:

ثم من فقه المصالح والمفاسد أن يعلم أنه قد تنشأ المصلحة عن المفسدة، والمفسدة عن المصلحة، وقد تنشأ المفسدة عن المفسدة، والمصلحة عن

من ضوابط الإفتاء في نوازل السياسة الشرعية:

- التخصص في الفقه
- معرفة الواقع السياسي
- الموازنة بين المصالح والمفاسد
- التجرد من كل المؤثرات
- الاجتهاد الجماعي بقضايا الأمة

المصلحة، وقد تقرن المصلحة بالمفسدة، ولا تنشأ إحداهما عن الأخرى، وإذا ظهرت المصلحة أو المفسدة؛ بني على كل واحدة منهما حكمها، وإن جهلنا استدل عليهما بما يرشد إليهما، وإذا توهمنا المصلحة المجردة عن المفسدة الخالصة أو الراجحة؛ احتطنا لدفعها، ويتساوى في ذلك مصالح الدنيا والآخرة في جريان تلك القواعد عليهما[٥].

- قاعدة اعتبار المآلات:

ومن أهم قواعد فقه السياسة الشرعية اعتبار المآلات، وألا يقتصر عمل الفقيه السياسي على مجرد التوصل إلى الحكم الشرعي فقط، بل عليه أن ينظر ما تؤول إليه الأمور والأفعال، فقد يكون الأمر مشروعاً أو ممنوعاً لكنه يؤول إلى خلاف المقصود[٦].

ومثال ذلك امتناع النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل المنافقين؛ حتى لا يقال: إن محمداً يقتل أصحابه، وامتناعه عن إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم؛ لحداثة القوم بالإسلام، وخشية حصول فتنة، ونهيه عن زجر الأعرابي حين بال في المسجد؛ خشية حصول نجاسة في مواضع أخرى.

- المَلَكة الفقهية:

ومن شروط الإفتاء الراشد في قضايا السياسة أن يكون لدى الفقيه السياسي مَلَكة فقهية تؤهله للتصدي لمثل هذا النوع من الإفتاء، فلا يكتفى بانشغاله بالفقه، وإذا كان العلماء قد نصوا على وجوب حصول تلك الدرجة للفقيه عامة، فهي في حق الفقيه السياسي أوجب، بل هي من أوجب الواجبات في حقه.

يقول الإمام الجويني: «وأهم المطالب في الفقه التدرب على مأخذ الظنون في مجال الأحكام، وهذا هو الذي يسمى فقه النفس، وهو من أنفس صفات علماء الشريعة»[٧].

- التجرد من كل المؤثرات:

فإن المتكلم في فقه السياسة إن كان متأثراً بحزب سياسي أو فكر معين، أو تيار أو اتجاه؛ فلا بد محالة أن يكون متأثراً به في اجتهاده، ولا يسلم من ذلك إلا من سلمه الله، وكم وقع بعض المتكلمين في الشأن العام من الدعاة أو بعض الفقهاء في أخطاء جسيمة بسبب تأثرهم بفكرهم أو حزبهم أو تيارهم، فالخصومة الكامنة في النفس لتيار منافس أو معاد، غالباً ما تظهر في فتاواه، وإن أظهر أنه يبحث عن الحق، وأنه متجرد، وما ذاك إلا بعدم تجرده، مع الجهل بفقه السياسة الشرعية.

ومنهم من يسارع في الإفتاء بقتل من لا يجوز قتله، لأجل معارضة سياسية، أو يدعي جواز القتل بالتسبب دون أن يتثبت من حصول التثبت مع كونه خلاف جماهير الفقهاء، وربما جر بعضهم الشباب في مواجهات غير محسوبة أضرت أكثر مما نفعت، وما ذاك إلا بسبب عدم التجرد.

وقد نبه الإمام ابن القيم إلى ذلك، فقال: «فإذا أردت الاطلاع على كنه المعنى هل هو حق أو باطل فجرده من لباس العبارة وجرد قلبك عن النفرة والميل ثم أعط النظر حقه ناظراً بعين الإنصاف.. فالناظر بعين العداوة يرى المحاسن مساوئ، والناظر بعين المحبة عكسه، وما سلم من هذا إلا من أراد الله كرامته وارتضاه لقبول الحق»[٨].

- الاجتهاد الجماعي في قضايا الأمة:

ومن سمات الإفتاء الراشد في قضايا السياسة الشرعية ألا ينفرد عالم أو فقيه برأي في قضية من قضايا الأمة الكبرى، فإن العقل الواحد قاصر، وتمامه مع عقول إخوانه من العلماء، والخطر كل الخطر أن يتكلم آحاد الفقهاء في قضايا الأمة على الملأ من شاشات التلفاز أو الإذاعة أو غيرها من وسائل الإعلام العامة، فهنا تزل الأقدام مهما كان العالم كبيراً، فثمة فرق بين تحبير المسائل والتريث فيها بالنظر والكلمات المرسلة على الهواء مباشرة، فضلاً عن أن تكون من شخص، مهما علا كعبه، أو اغتر بشهرته.

وقد نبه الله تعالى على وجوب ذلك بقوله: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (النساء: ٨٣)، يقول الطاهر ابن عاشور: «أي: يردُّونه إلى جماعة أولي الأمر، فيفهمُه الفاهمون من أولي الأمر، وإذا فهمه جميعهم فأجدَر»[٩].

إن الإفتاء في نوازل السياسة الشرعية من أصعب أنواع الفقه، والإفتاء فيه صاحبه على خطر، ومن هنا كان حصانة الاجتهاد الجماعي أولى من الانفراد فيه، وليعلم الفقيه أنه موقع عن الله تعالى في تلك القضايا الحساسة، فليوغل فيها بحكمة، مع تجرد القلب والعقل لله، ساعياً كشف ما يراه حقاً؛ مع اعتقاده أنه مجتهد قد يخطئ، فإن رأى لغطاً أو تشويشاً فالسلامة بالسكوت أولى، واضعاً نصب عينيه مآلات قوله: «فإن الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله يهوي بها في النار سبعين خريفاً».■

الهوامش

(١) راجع: صحوة الرجل المريض، موفق بن مرجه، ص ٤١٠، وتاريخ الدولة العلية، محمد فريد، ص ٧٠٩-٧١٠.

(٢) راجع: إعلام الموقعين، ابن القيم (١/ ٦٩).

(٣) الفوائد في اختصار المقاصد، العز بن عبدالسلام، ص ٣٩.

(٤) المرجع السابق، ص٤١.

(٥) ترتيب الفروق واختصارها، البقوري (١/ ٤٤).

(٦) راجع: الموافقات، الشاطبي، ج ٤، ص ١٩٤-١٩٥.

(٧) الغياثي، ص ٤٠٤.

(٨) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٤١).

(٩) «التحرير والتنوير» (٤/ ٢٠٣).

مفهوم التحالف السياسي وإشكال التنزيل على علاقات المقاومة الفلسطينية وجهود إسنادها

شاع في معظم الدراسات السياسية المعاصرة استعمال مفهوم التحالف -بحمولته الغربية كما سنوضح- في التعبير عن علاقات المقاومة الفلسطينية وجهود إسنادها، وهو أمر نعزوه إلى هيمنة المناهج الغربية في دراسة العلوم السياسية والعلاقات الدولية، بيد أن الأشد غرابة هو ذيوع هذا المصطلح -بذات الحمولة ودون إعادة تعريفه في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي- في التعبير عن جهود الأمة في مناصرة الشعب الفلسطيني وإسناد المقاومة الفلسطينية في السياق الإسلامي الفقهي والحركي والدعوي.

د. محمود النفار

أستاذ مساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر

وترك استقرار هذا المفهوم في الخطاب الشرعي المتعلق بالقضية الفلسطينية آثاراً سلبية لا يقصد إليها الصادقون ممن ذهلوا عن التكييف الشرعي الدقيق لفعل الإسناد هذا، ويسارع إليها المتحيزون ضد المقاومة فيلبسون بمفهوم التحالف للهروب من الاستحقاقات طلباً لمغنم أو دفعاً لمغرم أو استرسالاً مع أهواء مدرسية أو مواقف مسبقة.

يتباحث هذا المقال مع أولئك الصادقين دون أن ينعى على جهودهم أو يغض من إسهاماتهم، إنما مراده الدعوة إلى التدقيق في التأثيل والتأصيل والتنزيل، وهو في هذا ينساق ضمن جهود أخرى تسعى لتأصيل القضية الفلسطينية من خلال منظور جامع، يضم النصوص إلى مقاصدها، والجزئيات إلى كلياتها، والنظر الأصولي إلى الحضاري.

إشكال التعبير بمفهوم التحالف السياسي:

لا ننفي هنا أصالة مفهوم الحلف والتحالف في الفقه الإسلامي والتشريع السياسي، الذي يقصد به مطلق التناصر والتعاضد والتآزر على الحق والخير والمصلحة، فهو استعمال دقيق إذا قصد به استيعاب جميع جهود التناصر على مستوى الأواصر

استعمال مفهوم "التحالف" في التعبير عن علاقات المقاومة الفلسطينية وجهود إسنادها غير صحيح

المختلفة في الأمة، فيكون استعماله مناسباً بهذا المعنى لتحقيقه المقصود وعدم إيهامه بغير المنشود، فإذا استعمل في غير ما وضع له، أو على وجه ينقص من دلالته الواسعة كان مستكرهاً، والشأن هنا لا يخص هذا المفهوم بل جميع المفاهيم في الحقول المعرفية كافة؛ حيث إن سوء اختيار المفهوم أو عدم بيان دلالته لا يحقق مقصود الحوار والاتصال، والتثاقف والتفاكر؛ لأن شرطها الوضوح والدقة أو ما اصطلح عليه في المنطق بشرط الجامعية والمانعية بأن يكون اللفظ إزاء المعنى مطابقة أو مقاربة، فإذا أثار الغموض ولم يصب المطلوب أو كان غيره أدق منه في الدلالة أو أكمل منه في البيان لم يكن التعبير به موفقاً.

ويترتب على الاختلال في اختيار المفهوم بدقة أو بيان دلالاته بوضوح اختلالات أخرى في تعيين المسؤوليات

"التحالف" بالفقه الإسلامي يقصد به مطلق التناصر والتعاضد والتآزر على الحق والخير والمصلحة

وتحديد التكاليف؛ أي: إن خطورة المسألة لا تكمن في عدم التدقيق، بل فيما يترتب عليها.

وبالنظر إلى مفهوم التحالف السياسي، نلاحظ أنه -بدلالاته الغربية- يستبطن عدة معانٍ تتعارض مع النظر الشرعي والحضاري في وصف إسناد المقاومة، فالتحالف في النموذج الغربي يصدر عن الواقع لا التكليف، والمراد بالواقع هنا: الدولة القطرية الحديثة المفروضة على الأمة بجهود استعمارية معروفة؛ حيث إن قيام الدولة القُطرية في العالم الإسلامي يوهم بانفكاك الصلات بين الدول والشعوب والمكونات العربية والإسلامية، كما يستبدل مفردات التحالف والتكتل بمفردات التكامل والتضامن، والأخوة والتناصر.

ولا يجوز بحال أن تلغي حقيقة وجود الدولة القُطرية حقائق التكليف الشرعي العيني والكفائي المتوجه نحو الأمة، نعم يسهم الواقع في ترشيد النظر وتوجيه الحكم بالنظر إلى مشتملات الحكم الوضعي التي تؤطر الحكم التكليفي، ولكنها لا تبدل الأوضاع الشرعية.

ومن الإشكالات المرتبطة بالمفهوم في الاستعمال المعاصر: حصر دلالاته في المدونات الفقهية المعاصرة في إقامة المعاهدات والتحالفات بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول غير الإسلامية، بل يرد في كثير من الأحيانٍ في سياق التحالفات العسكرية حصراً مع غير المسلمين، وإذا ورد في السياق الإسلامي فإنما يُلَمَّح إلى دلالاته اللغوية سريعاً، ثم يُؤَطر به تحالف الحركة الإسلامية مع التيارات العلمانية واليسارية والقومية.

ومنها كذلك: اختزال دلالات المفهوم في الأحوال الاستثنائية، والتعامل معه باعتباره وضعاً اضطرارياً، يقاس على شرب الخمر وأكل لحم الخنزير عند المخمصة، والأصل في جلب المصالح ودفع المفاسد على وجه الاشتراك والتضامن الديمومة والاتصال لا التأقيت والانقطاع.

ومن الإشكالات التي يثيرها المفهوم في سياق علاقات المقاومة خاصة، وبالإضافة إلى ما ذكر: توهم إسناد المقاومة الفلسطينية لمناصريها فيما هو موضع إنكار شرعي، أو متابعتها لهم فيما هو اجتهاد تدبيري في قضايا خارجة عن موضوع التناصر والتآزر، وهو مدافعة العدو الصهيوني، ونحسب أن التعبير بـ"حلف القدس" بدلاً من "محور المقاومة" في خطابات قادة المقاومة في السنتين الأخيرتين كان ضرباً من التدارك بغرض دفع هذا الالتباس، وهو احتراز مهم.

هذا، وإذا أردنا أن نحلل الأسباب والبواعث التي سهلت استعمال هذا المفهوم بدلالاته السلبية السابقة فهي ترجع -فيما نحسب- إلى أمور؛ أحدها: التسامح المنهجي في استعمال المفاهيم واستعارة المصطلحات، الذي تلبس به بعض الإسلاميين، وهو ما حذر منه بعض الرواد، فقدموا للمكتبة الإسلامية العديد من الإسهامات المعرفية في تأصيل المفاهيم من منظور حضاري إسلامي، محذرين من تحريف المفاهيم الأصيلة، وتفخيخ المفاهيم الوافدة، ومنبهين إلى ضرورة إعادة تعريف المفاهيم المشتركة في الثقافات المختلفة، ومن ذلك مفاهيم السياسة والتحالف ونحوها.

والثاني: غلبة النزعة الخطابية في تناول قضايا الأمة بما فيها القضية الفلسطينية، وضعف المشاركات التأصيلية، ما أفضى لعدم التدقيق في التصور والتكييف، وبالتالي لأخلال أخرى في التصديق والتنزيل.

والثالث: عدم التمييز بين التكليفين: العيني والكفائي، وتوهم

إسناد المقاومة الفلسطينية "تكليف عيني" أما "التحالف" فأمر اجتهادي يسع المسلمين تركه

وقوع التحالف في دائرة التكليف العيني.

وأمام هذه الأخلال أو الاختلالات، نقترح استعمال مفردة "الجهاد العيني" أو "المناصرة الواجبة" بدلاً من "التحالف السياسي"، دون الذهول عن الدعوة إلى إعادة تعريف التحالف السياسي في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي، وعسى أن ننهض لهذا الأمر في عمل لاحق إن شاء الله.

إسناد المقاومة الفلسطينية من التحالف العسكري إلى الجهاد العيني:

يتحدد الجهاد الواقع اليوم مع العدو الصهيوني على أنه جهاد عيني بطريق القطع، وهو ما صرح به فقهاء العصر الثقات بلا خلاف، متابعين ما أجمعت عليه الأمة من وجوب دفع العدو عن ديار المسلمين، وهو آكد في دفعه عن قلب الجغرافيا الإسلامية وموطن الأنبياء ومهبط الرسالات ومسرى سيد الخلق والمرسلين، والجهاد العيني لا يختص بالفلسطينيين لعجزهم على مدار قرن عن طرد الاحتلال من الأرض المقدسة، ولذا انتقل الخطاب العيني منهم إلى دول الطوق ومنها إلى عموم المسلمين في الأرض كل بحسب وسعه وإمكانه.

وهكذا يقع كل جهد في مدافعة الاحتلال سواء في داخل فلسطين أو من خارجها امتثالاً لتكليف عيني، فيقع بذلك عن الفاعل لا نيابة عن أحد، وقد سبق أن نبهنا على خلل التعبير بنيابة الشعب الفلسطيني أو المقاومة الفلسطينية في جهاد ومدافعة العدو الصهيوني؛ لأن الجهاد مما لا يقبل النيابة أصلاً، وعدم قبولها في الجهاد العيني أظهر إذ لا يقع الفرض العيني

دفع العدو الصهيوني "جهاد عيني" لا يختص بالفلسطينيين وانتقل منهم إلى عموم المسلمين في الأرض

الدول والحركات بإسنادها للمقاومة تؤدي تكليفاً قطعياً لا اختيار في إيقاعه ويطلب منها كوضع دائم

إلا عن الفاعل، ولا يسعُ هذا الفرضُ غيرَ الفاعل، كما أن مقصود الشارع من الأعمال التي لا تجري النيابة فيها مثل الجهاد امتحان المكلفين فرداً فرداً، ولذا لا تحصل بفعل الغير، يضاف إلى ذلك أن التعبير بالنيابة في أتون معركة حضارية يربك عقل المسلم المعاصر، ويوهم بكفاية انتهاض فريق من هذه الأمة لأداء هذا الواجب.

وإذا كان الأمر كذلك لم يصح وصف إسناد المقاومة الفلسطينية ولا علاقاتها مع مناصريها بالتحالف، لأن التحالف -بحمولته الغربية- إنما يقع عن مصلحة مشتركة مع الغير، دفاعية أو هجومية، تدعو إليها ظروف وأحوال معينة، ويحث عليها اجتهاد أو تدبير، وما كان كذلك فالأصل أن ينساق -في الرؤية الإسلامية- في الأحكام الكفائية الاجتهادية، أما دفع العدو الصهيوني عن الأرض المقدسة ومنعه من إزهاق أرواح المسلمين وإيقاع أنواع الضرار بهم، فهي مصلحة تقع عن النفس ولا تسع للغير، فيجب طلبها من كل واحد من آحاد المسلمين فضلاً عن مكوناتهم الكبرى من دول وحركات ونحو ذلك، فهذه بإسنادها تؤدي تكليفاً قطعياً لا اختيار ولا اجتهاد في إيقاعه، ويطلب هذا الواجب منها في صورة وضع دائم لا حالة مؤقتة، وأمر محتم لا تدبير اضطراري، يقابل هذا الأداء الواجب خذلان محرم، وإثم حاق، وخيانة لله ولرسوله وللمؤمنين.

ثم إن قبول المقاومة لهذا الدعم واجب شرعي، وتعاونها من أجل إيقاعه وتعظيم مصالحه وتنمية منافعه فريضة محتمة، بل إن طلبها له وحثها عليه هو الآخر فريضة من الفرائض متابعة للنبي صلى الله عليه وسلم الذي أمره الله تعالى بتحريض المؤمنين على القتال، كما أنه أمرٌ بمعروف ظهر تركه، ونهيٌ عن منكر شاع فعله، وأما المؤاخذة كل المؤاخذة فهي إنما تقع بخذلان المؤمنين في الأرض المقدسة، أو امتناع المجاهدين عن قبول جهود النصرة والتنسيق معها، أو تقصيرهم في طلبها وتحصيلها؛ إذ هم مأمورون بارتياد الأنفع للأمة ومقاومتها المباركة.

إن واجب ذوي النهى والأحلام من العلماء والمجاهدين الدعوة إلى تواثق عربي وإسلامي يضم مكونات الأمة كلها الظالم منها والمظلوم، الفاجر منها والتقي، السُّني منها والبدعي، الباغي والمبغي عليه مهما غلب على الظن رجاء النصرة منهم، بل إن واجبهم -بالإضافة إلى ما سبق- السعي إلى إقامة تحالف إنساني عام مع من يرجى منه دفع الظلم، وكف اليد، وحقن الدم، ودفع الغمة، ولا يضر أن يكون المستنهَض كافراً أو مشركاً.

ويتأكد هذا الوجوب في ظل شيوع الخيانة وذيوع الخذلان وقلة النصير وضعف الظهير، فيما يقابله في جهة العدو دعم عسكري وسياسي وأمني

قبول المقاومة لهذا الدعم واجب شرعي وتعاونها من أجل إيقاعه وتنمية منافعه فريضة محتمة

واستخباري وإعلامي لا ينقطع، وإمداد لا يمتنع.

وفي الختام نقول: إنه إذا قبلنا التعبير بالتحالف بالنظر إلى صورة هذا التكليف العيني أو إلى أصله، فإنه لا يحسن التعبير به مع الوقوف على جوهره وماهيته.

وعلى وجه التنزل -لا التأصيل- نضيف: إذا تنزلنا لنقبل الإنكار على المقاومة بـ"التحالفات" القائمة بدعوى زيفها وصوريتها وعبثيتها، فإن الديانة والمروءة والرجولة تقتضي من المنكرين إقامة التحالفات الحقيقية وتوفير الدعم المجدي وتحصيل النصرة المثمرة.

ورحم الله الحطيئة الذي أدرك المروءة في الجاهلية والوفاء في الإسلام إذ قال:

أَقِلّوا عَلَيهِم لا أَبا لِأَبيكُمُ مِنَ اللَومِ
أَو سُـدّوا المَكـــانَ الَّذي سَدّوا
أولَئِكَ قَومٌ إِن بَنَوا أَحسَنوا البُنى
وَإِن عاهَدوا أَوفَوا وَإِن عَقَدوا شَدّوا

وإن كان من نصح لقادة المقاومة الأبرار في سياق هذا المقال فهو دعوتها بمشورة أنصارها الأخيار من العلماء الأقمار والمفكرين الأحرار إلى مزيد من التجديد الاصطلاحي والإسناد المعجمي، جنباً إلى جنب مع وجوه المناصرة الأخرى بما يدفع التلبيس عن خطابها العادل وهتافها الراشد ونداتها الصادق.

إن مفهوم التحالف لا يعبر تعبيراً دقيقاً عن تكييف إسناد المقاومة الفلسطينية، إذ إسنادها تكليف عيني، فيما يوهم مفهوم التحالف أن الأمر اجتهادي يسع المحالف أن يتركه، أو يسع المحالف أن يعرض عنه، والحال أن الإسناد وقبوله بل تنميته وطلبه فروض عينية واجبة بالنظر إلى موضوعه وهو دفع الصائل المعتدي عن قلب دار الإسلام. ■

مبادئ «حمـــاس» في فلسطيـــن وتحركاتها السياسية.. من منظور شرعي

بشير عبداللطيف

ماجستير في التربية الإسلامية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (التوبة: ٣٨)، إن كان الرباط على ثغر من ثغور الإسلام من أسمى منازل الجهاد وأعلاه رتبة في الإسلام، فإن الرباط على ثغر حماية ظهر المجاهدين والمرابطين، والذب عنهم في المعركة المصيرية التي يخوضونها نيابة عن أمتهم؛ فرض واجب على كل مسلم، وإنّ التخلف عنه أشبه بالتولي يوم الزحف في حق كل مسلم قريب أو بعيد بعد تعيّن الثبات وحرمة الفرار.

«حماس» التي عبَّرت عن نفسها بحركة تحرر وطني ذات مرجعية سُنية إسلامية، وصاغت أبجدياتها وأهدافها تبعاً للحالة التي نشأت في خضمها، رفعت شعاراً لها منذ تأسيسها وهو «تحرير أرض فلسطين من الحركة الصهيونية»، وهي تعمل وفقاً لذلك.

واجهت الحركة انتقادات عديدة، ولم يشفع لها ابتعادها عن مربع التدخل في شؤون الدول أو اختيارات الشعوب، وهي برغم ذلك لا تزال تواجه انتقادات عديدة طالت تحركاتها الدبلوماسية وقراراتها السياسية، منها اتهامها بالارتماء في أحضان إيران ورهن قرار الحركة لها، ولم يستطع البعض أن يفرق بين مبادئ الحركة وتحركاتها السياسية، فالسياسة تحكمها الضرورات والمصالح، لا العواطف.

وكذلك «حماس» ليست دولة، وإنما هي حركة محاصرة؛ سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، ومحرومة من أي دعم عربي، لذلك اضطرت لقبول الدعم من إيران، التي قدمت لها السلاح لمواجهة الاحتلال الصهيوني، ومع ذلك، لم تتبنَّ «حماس» نهج إيران أو تدخلت في أي حرب خارج فلسطين.

حماية ظهر المجاهدين والمرابطين والذب عنهم في المعركة المصيرية واجب على كل مسلم

المشكلة الحقيقية محاولة شيطنة المقاومة برغم وضوح نهجها وصحة عقيدتها وصواب بوصلتها

ازدواجية المعايير

ليس سراً أن معظم دول المنطقة لديها معاملات تجارية مع إيران ومصالح مشتركة، ولكن المشكلة الحقيقية هي محاولة شيطنة المقاومة بالرغم من وضوح نهجها وصحة عقيدتها وصواب بوصلتها.

ولكن، لعل هذا تصديقاً كما جاء في الحديث: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين..»، وحينما صاحت المرأة: «وا معتصماه» لم يعاتبها فقيه عبر التاريخ لأنها استنجدت بالمعتصم المنحرف عقدياً بفتنة خلق القرآن، ففي حال الضرورة يجوز أكل الميتة، وكذلك الاستعانة بإيران، فـ«الضرورات تبيح المحظورات».

«حماس» لم تشارك إيران في تدخلاتها بسورية واليمن ولبنان، ولم يكتب عنها الغوص في استباحة دماء أهل السُّنة، ورفعت شعاراً خالداً: «مَنْ دَعَمنا في الحق لا ندعمه في الباطل»، في حين أن أمريكا التي قتلت أكثر من ٢٠٠ ألف مدني بعد غزو العراق عام ٢٠٠٣م، وأكثر من ٧٠ ألف مدني في أفغانستان، ومع ذلك تقيم الدول العربية علاقات وثيقة معها، بل وتعتبرها شريكاً إستراتيجياً!

تحالفات تاريخية

لقد تعاون السلاجقة والزنكيون مع هؤلاء الإسماعيلية العبيديين (الفاطميين) في دفع الصليبيين عن أرض المسلمين في عسقلان والإسكندرية وبلبيس والقاهرة، وكم تمنوا ورجوا أن يقع الاتحاد الذي يفضي إلى طرد الصليبيين من بيت المقدس، ولكن الأمر لم يتمّ؛ لأن دولة العبيديين كانت قد ضعفت وأثخنتها الخلافات الداخلية حتى صار بعض أطرافهم يوالي الصليبيين على المسلمين، فهيأ الله لذلك صلاح الدين الذي أزال هذه الدولة، فعادت الوحدة، وبعدها كان تحرير بيت المقدس!

وقد زخرت كتب مؤرخينا السُّنة بالحمد والشكر لغزوات قام بها العبيديون، فتحوا بها بلاداً أو أنقذوا مسلمين استغاثوا بهم من الروم!

أما هذا الوضع الذي نعيشه الآن، فخلل في الفهم وانتكاسة في الفطرة وانقلاب في الدين غير مفهوم.

كيف تدان حركة سُنية لم تجد غير الحليف الإيراني إذا استعانت به في معركة وجودية، وفي ظل خذلان من بعض دول السُّنة؟!

قال الشيخ صالح اللحيدان رحمه الله لمن يتهم «حماس» والشيخ أحمد ياسين بالضلال: «أقلّوا عَليهم لا أبا لأبيكُمُ.. مِنَ اللَّوم.. أو سُدّوا المَكانَ الَّذي سَدّوا»■

بعد اتفاق التهدئة ومماطلة نتنياهو.. الأسباب الحقيقية لعودة الحرب على غزة

د. إياد القطراوي
مختص بالشؤون السياسية الفلسطينية

لم يكن وقف إطلاق النار في غزة سوى هدنة موقوتة في عقل رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو، الذي قلب الطاولة وأعاد عقارب الموت إلى مربعها الأول، بضغط من الصهيونية الدينية وصقور اليمين، لم تمضِ الاتفاقية إلى مرحلتها الثانية، لتكشف من جديد أن نتنياهو وحكومته المتطرفة الفاشية لم يكونوا جادين في إنهاء العدوان، بل كان يناورون قبل جولة جديدة من القصف والدمار.

«حماس» قدمت كل المرونة المطلوبة لضمان تنفيذ الاتفاق، ساعية لفك الحصار وتخفيف معاناة أهل غزة، لكن الاحتلال كالعادة أفشل كل الجهود، ليؤكد أن الحرب عنده ليست معركة أمنية، بل ورقة سياسية بيد نتنياهو، وائتلافه النازي يوظفها لصالح بقائه ولو على حساب أرواح الأبرياء.

اتفاق التهدئة ووقف إطلاق النار الذي تم توقيعه بين «حماس» ومعها حركات المقاومة في غزة، ودولة الاحتلال الصهيوني، برعاية مصرية قطرية أمريكية، الذي بدأ في ١٩ يناير ٢٠٢٥م لم يدم طويلاً، ولم تلتزم دولة الكيان بمراحله، عدا عن مماطلتها في تطبيق المرحلة الأولى والامتناع عن الدخول في المرحلة الثانية كما نص الاتفاق، ولم تلتزم بضمانات الوسطاء للتفاوض حول المرحلة الثانية التي تنص على وقف إطلاق النار، والانسحاب الصهيوني الكامل من غزة وإعادة الإعمار.

يبدو أن نتنياهو له حساباته الخاصة من وراء التنصل من الاتفاق، متسلحاً بالدعم الأمريكي اللامحدود لسياسته، وضعف الوسطاء وعدم قدرتهم على إلزامه، وضعف الموقف العربي الهزيل الذي أعطى لنتنياهو المبرر والقوة للقفز عن الاتفاق في محاولة للهروب إلى الأمام وحماية نفسه من السقوط وحماية ائتلافه من الانهيار، فجاء القرار بعد إجهاض المرحلة الثانية من اتفاق وقف إطلاق النار تحت ضغط من اليمين الصهيوني المتطرف؛ ما يعزز الشكوك بأن التصعيد جاء لأسباب سياسية داخلية للحفاظ على استقرار الحكومة ومنع انهيار الائتلاف الصهيوني الحاكم.

وفي تصعيد مفاجئ وبشكل متزامن، نفذت طائرات الاحتلال قصفاً واسعاً

على مختلف أنحاء غزة، في أيام رمضان المبارك، وفي الساعات التي يتحضر فيها الأبرياء المساكين للسحور، لينقشع الظلام وينفلج الصباح عن مجازر صهيونية بحق الأبرياء الفلسطينيين من النساء والأطفال والرجال، وتسفر الهجمات الصهيونية الدامية عن استشهاد أكثر من ٤٢٩ فلسطينياً في لحظة واحدة، في أكبر هجوم منذ اتفاق وقف إطلاق النار، وجاء التصعيد بعد ١٦ يوماً من إغلاق المعابر وتفاقم أزمة إنسانية تهدد بحدوث مجاعة، بينما واصل الاحتلال المماطلة في تنفيذ المرحلة الثانية من الاتفاق.

الأسباب والأهداف

تذرع نتنياهو ووزير جيشه إسرائيل كاتس بأن الهجمات جاءت بسبب رفض «حماس» إطلاق سراح الرهائن وتهديداتها بإيذاء الجيش والمدن ورفضها لمقترح الوساطة الذي قدمه مبعوث الرئيس الأمريكي، ستيف ويتكوف، بينما الحقيقة الدامغة من وراء تجديد الحرب على غزة تعود لأسباب خاصة تتعلق بنتنياهو وأزماته المتلاحقة داخل الدولة وائتلافه الحكومي وهي:

١- أزمة إقرار الميزانية وقانون تجنيد الحريديم:

ليس كما يدعي نتنياهو، وويتكوف، بأن «حماس» رفضت المقترح الأمريكي الجديد، بل كان الهدف من انتهاك دولة الكيان لوقف إطلاق النار واستئناف الحرب بموافقة أمريكية عدم رغبتها في تنفيذ الاتفاق بالكامل، والاستجابة لمطالب بن غفير بالعودة إلى الحرب لضمان عودته إلى الحكومة، وهذا ما يريده نتنياهو؛ ما يمنحه الأغلبية في الكنيست لتمرير الميزانية، ودعمها دون تمرير قانون تجنيد الحريديم، حيث يتعين على الكنيست المصادقة عليها قبل نهاية مارس ٢٠٢٥م لتجنب انتخابات مبكرة، فسارع إلى استئناف القتال في غزة قبل ٤٨ ساعة من مناقشة الميزانية، لضمان إعادة بن غفير إلى الائتلاف الحكومي، وضمان أصوات حزبه بعد فشله في الاعتماد على أصوات الحريديم.

كما لجأ إلى دمج حزب غريمه السابق جدعون ساعر مع الليكود، وقام بتعيينه وزيراً بلا حقيبة لتثبيت حكومته حتى عام ٢٠٢٦م، حيث تُتيح عودته إلى الحكومة استفادة نتنياهو من غالبية ٦٨ نائباً من أصل ١٢٠ في الكنيست.

عــودة الحــرب على غـــزة تأتي لأسباب خاصة تتعلق بنتنياهو وأزماته المتلاحقة هي:

- أزمة إقرار الميزانية وقانون تجنيد الحريديم
- لفت الأنظار عن الإصلاحات القضائية والاحتجاجات
- الهروب من أزمة إقالة رئيس «الشاباك»
- الهروب من تحركات المعارضة

٢- لفت الأنظار عن الإصلاحات القضائية والاحتجاجات على إقالة المستشارة القضائية:

تجددت الأزمة مع عزم نتنياهو إقالة المستشارة القضائية، وسط مواجهة مع رئيس المحكمة العليا، حيث اقترحت حكومة نتنياهو إصلاحات واسعة تهدف إلى تقليص استقلال القضاء الصهيوني، وتقليص سلطة المستشارة القضائية للحكومة، غالي بهاراف مئيرا، بما في ذلك حصر دورها كمستشارة غير ملزمة، وتعيين مستشارين قانونيين من قِبل الوزراء مباشرة؛ الأمر الذي عارضته المستشارة القضائية، لأن هذه التعديلات تحد من استقلاليتها وتضعف الرقابة القانونية على أعمال الحكومة؛ ما يهدد مبدأ سيادة القانون، وكان وزير العدل قد أعلن في بداية الحرب تعليق الإصلاحات القضائية، لكنها تعود للواجهة الآن، وتشمل تعديل لجنة تعيين القضاة والإطاحة بالمستشارة؛ ما يزيد التوترات داخل الحكومة.

٣- الهروب من أزمة إقالة رئيس «الشاباك»:

يواجه نتنياهو أزمة حقيقية في إقالة رئيس «الشاباك» رونين بار، أو إجباره على تقديم استقالته، الذي يتهمه بالفشل في أحداث السابع من أكتوبر، فنتنياهو يرتجف خوفاً من الاحتجاجات ضد إقالته، وفي الوقت نفسه لا يملك قرار إقالته، كما أكدت ذلك المستشارة القضائية التي أبلغته بأنه طالما أن تحقيق «الشاباك» ضد موظفين في مكتب رئيس الحكومة مستمر، فلا يمكن عقد اجتماع للحكومة من أجل إقالة بار، وأن على نتنياهو أن يحصل على توصية من لجنة التعيينات في المناصب الرفيعة، لإقالة رئيس «الشاباك».

٤- تأجيل محاكمته وإيقاف شهادته أمام المحكمة:

لقد نجح نتنياهو من خلال العودة للحرب، واستئناف الإبادة في غزة، والتذرع بحالة الطوارئ، إلى تأجيل شهادته أمام المحكمة المركزية في تل أبيب بشأن تهم الفساد، في محاولة للهروب إلى الأمام وتفادي التهم التي قد تؤدي إلى الإطاحة به، وبمستقبله السياسي إلى السجن.

٥- الهروب من تحركات المعارضة:

دعت المعارضة إلى إسقاط الحكومة عبر اتفاق مشترك، وأعلنت منسقة المعارضة ميراف بن آري تقديم آلاف التحفظات على الميزانية لمنع تمريرها، كما خططت لتنظيم احتجاجات كبرى، تزامناً مع نية الحكومة إقالة رئيس «الشاباك» والمستشارة القضائية، واتهمت المعارضة نتنياهو بإعادة الحرب لأسباب شخصية وسياسية بحتة، معرّضاً حياة الجنود والأسرى للخطر، ويستخدم حياتهم أوراق ضغط للبقاء في السلطة وبأنه فاقد للأهلية والثقة.

وبينما ضرب نتنياهو بعرض الحائط جهود الوسطاء وضماناتهم، وتنصل من الاتفاق وعاد للقتل والقصف والدمار في غزة، وبينما تتوالى الغارات الجوية، ويسقط الشهداء، ويطبق الحصار، يبقى السؤال: أين الوسطاء الذين ضمنوا الاتفاق؟ هل كانوا مجرد شهود زور في مسرحية خداع؟ أين المجتمع الدولي كي يتحمل مسؤوليته، أم أن الدماء ستكتب مجدداً شهادة سقوطه الأخلاقي أمام العدوان المستمر؟!■

حاجة البشرية إلى مشترك إنساني في وجه غطرسة الصهاينة (1-2)

د. أحمد عيسى
دكتوراة في العقيدة وأصول الدين

المتتبع لما يحدث في العالم من حروب مهلكة، وصراعات طاحنة، ونزاعات فتاكة، وتوترات مريرة، وأشدها غطرسة وإجراماً من المحتلين الصهاينة لفلسطين، يتساءل: ألا يعيش البشر على كوكب واحد؟ أليس بينهم أي مشترك إنساني أو ديني يجمعهم على وفاق وحياة سلمية؟ أمَا آن لهم أن يجتمعوا على كلمة سواء؟

لقد اتضح لنا خلال الحرب الضروس على غزة فشل وعجز الهيئات الدولية أمام غطرسة المعتدي ومن يؤيده؛ ذلك لأن ادعاء الحق بالعدوان، لا قوة الحق، هو الذي يسود، والمجتمع الإنساني في حاجة إلى بدائل عن تلكم الهيئات الدولية، بدائل تعتمد على الجانب الإنساني من الإنسان؛ هؤلاء الذين خرجوا بمئات الألوف في كثير من مدن العالم ينصرون أهل الحق الأبلج ضد أهل القوة الغاشمة، هؤلاء وغيرهم لو توحدوا على المشترك الإنساني وكوّنوا جماعات ضغط مؤثرة في بلادهم ثم على مستوى العالم، وانضم إليهم شخصيات نيابية وفكرية ودينية وأكاديمية وفنية ورياضية وإعلامية، ليحاصروا أي معتدٍ ويعزلوه عن أي دعم من بلادهم، وليسَ فقط لتغيير الرأي الشعبي العام بل لتغيير سياسات النخب الحاكمة.

ويحق لنا أن نقول: إن مجرمي دولة الاحتلال الصهيوني لا ينتمون إلى الجماعة الإنسانية، فقد انسلخوا عن أي إنسانية، وقد كشروا عن أنيابهم لتحقيق الدولة المجرمة الكبرى من النيل إلى الفرات، بل وما بعدهما، بدهس من يقف أمامهم بلا رحمة؛ ما يجعلهم عدو البشرية الأول الذي لا يأبه لأي قانون أو خلق أو عرف أو شريعة، وإن لم تتكاتف البشرية -المختلفة على نفسها أصلاً- لإيجاد مشترك بينهم يقف سداً أمام الطوفان الصهيوني المجنون؛ لغرقوا جميعاً!

المجتمع الإنساني بحاجة إلى بدائل عن تلكم الهيئات الدولية تعتمد على الجانب الإنساني من الإنسان

النزاعات:

تضاعفت الصراعات العالمية خلال السنوات الخمس الماضية، ويوجد ٥٠ دولة تشتعل فيها النزاعات المسلحة،

وواحد من كل ثمانية من البشر يكتوون بنارها[1]، ووفقاً للأمم المتحدة، فإن ٤ من كل ١٠ مدنيين قتلوا في النزاعات هم من النساء، و٣ من كل ١٠ من الأطفال، وتشير هذه الأرقام المزعجة إلى أن الطريق إلى السلام العالمي، الضروري للتنمية، قد تعرقل مساره، واستمرار الصراعات يتسبب في معاناة إنسانية هائلة، ووصل عدد النازحين قسراً إلى ١٢٠ مليون شخص[2].

وما يحدث للأطفال، مستقبل البشرية، يحتاج من هذه البشرية إلى الوصول إلى مشترك إنساني ينقذ أطفالهم من براثن الفقر والحرمان، ففي حين ارتفع الإنفاق العسكري العالمي للعام التاسع على التوالي، ليتجاوز ٢,٤ تريليون دولار[3]، يعاني نحو مليار طفل في العالم من فقر متعدد الأبعاد إلى الضروريات من الغذاء والماء والمأوى والتعليم والرعاية الصحية.

الاختلاف الإنساني:

إن مشيئة الله تعالى وحكمته اقتضت اختلاف الناس في قبول الحق، فالدعوة عامة والتوفيق خاص، كما بينه تعالى بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (يونس: ٢٥)، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (البقرة: ٢٥٣).

فالمشترك الإنساني هو الاشتراك في الخَلق والوجود، وفي المصالح، وفي القيم والمبادئ الكلية والعليا، ومن معانيه المتقاربة: القيم المشتركة، أو المشترك الحضاري البشري، أو الإنسانية المشتركة، أو الأخلاق العالمية، أو المشترك الأخلاقي، وقيل: إنه القيم الإنسانية الموجودة في جوهر كل الأديان والحضارات، التي تلبّي حاجيات الإنسان الفطرية من حيث هو إنسان[4].

وعرّف الحارثي بأنه مجموع الأفكار التي يتفق أو يتوافق الناس، كلّهم أو جُلّهم، إلا ما شذ، على القول

المشترك الإنساني هو الاشتراك في الخَلْق والوجود وفي المصالح وفي القيم والمبادئ الكلية والعليا

بها فطرة وعقلاً واجتماعاً، وما يترتب عليها من حقوق وواجبات، ومصادر الاشتراك هي الفطرة، ثم العقل السليم الصريح، أو قطعيات العقل وإجماعات العقل الإنساني الجمعي، وكذلك شرعُ من قبلنا، أما المداخل المقاصدية المؤسسة لمشروعية المشترك الإنساني، فهي: مدخل عمارة الأرض، والمدخل الأخلاقي، ومدخل التعارف والتعاون الإنساني[5].

التأسيس القرآني للاجتماع على مشترك إنساني:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢)؛ قال ابن عاشور: إن واجبكم أن تتعاونوا بينكم على فعل البر والتقوى، وإذا كان هذا واجبهم فيما بينهم، كان الشأن أن يعينوا على البر والتقوى، فلا جرم أن يعينوا عليها كل ساعٍ إليها، ولو كان عدوا، فهم وإن كانوا كفاراً يعاونون على ما هو بر؛ لأن البر يهدي للتقوى، فلعل تكرر فعله يقربهم من الإسلام.

ويقول ابن بيه: إن آية المائدة تدخل في التعاون على البر والتقوى، وقد نزلت في العلاقة مع المشركين المحاربين فكيف لا يجوز مع المواطنين المسالمين[6].

التأسيس النبوي:

أخرج البيهقي في «سننه الكبرى» قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى إليه في الإسلام لأجبت»؛ فالإسلام جاء بإقامة الحق ونصرة المظلوم، والنبي قد حضر «حلف الفضول»، وهو عليه الصلاة والسلام أبعد ما يكون عن عقائد المشركين ووثنيتهم، لكن القاسم المشترك الذي كان قائماً بينهم هو إقامة العدل.

وفي صحيح مسلم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا حلف في الإسلام، وأيما حلف، كان في الجاهلية، لم يزده الإسلام إلا شدة»؛ قال ابن الأثير: أصل الحلف: المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق، فما كان منه في الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل، فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام بقوله: «لا حلف في الإسلام»، أما ما كان منه في الجاهلية على نصر المظلوم، وصلة الأرحام، كـ«حلف الفضول» وما جرى مجراه، فذلك الذي قال فيه: «لم يزده الإسلام إلا شدة»، من المعاقدة على الخير ونصرة الحق[7].

وفي السياق نفسه، أوصى الكيلاني بضرورة انخراط المسلمين في التحالفات الدولية والإنسانية التي تخدم مقاصد شرعية، أو تنتصر لقيم إنسانية، أو تدعو لفضائل أخلاقية، كالجمعيات الداعية إلى محاربة الفقر والأمية والجريمة، ومقاومة الاستبداد والفساد، والحفاظ على البيئة، ونشر التوعية الأسرية، ومنع الإجهاض والشذوذ الجنسي، وغيرها من المجالات الإنسانية الفاعلة التي يمكن التعاون فيها[8] ■

الهوامش

(١) ACLED, Conflict Index: December 2024.

(٢) United Nations Statistics Division, The Sustainable Development Goals Report 2024.

(٣) Stockholm International Peace Research Institute, Yearbook 2024.

(٤) رفيع، النظر الشرعي في بناء الائتلاف وتدبير الاختلاف (دار السلام للطباعة، ٢٠١٢)، ص١٧.

(٥) الحارثي، التأسيس المقاصدي للمشترك الإنساني، في: مقاصد القرآن الكريم (٣): تحرير العوا (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠١٨)، ص١٥٣-١٧٥.

(٦) عبدالله بن بيه، الولاء بين الدين وبين المواطنة، المجلس الأوروبي للإفتاء.

(٧) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩) ج١، ص٤٢٤.

(٨) الكيلاني، مقاصد القرآن الكريم وأثرها في بناء المشترك الإنساني، في: مقاصد القرآن الكريم (٣)، ص١٢١-٢٥١.

لسان غزة الصمود.. وإن عدتم عدنا

سعد النشوان

في أواخر يناير الماضي، كتبت مقالاً بعنوان «مبروك فلسطين»، وختمته بحقيقة أن اليهود أهل الغدر والخيانة، وأكدت أن الكيان الصهيوني سيخرق الهدنة؛ وهذا ما حدث.

لا أعرف كيف يفكر الصهاينة، فهم قوم طبع الله على قلوبهم وأعمى أبصارهم، ألم يروا من بعد هجومهم الدنيء والوحشي على غزة العزة بعد «طوفان الأقصى»، في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م، كيف أصبح الشعب الغزاوي أكثر لحمة وأشد عزماً؟! ألم ير الساسة الصهاينة كيف أذلّهم المقاومون الساجدون الراكون وجعلوهم يتوسلون للتفاوض، وكيف حال حكومة مجرم الحرب الإرهابي نتنياهو، وكيف أن الشارع الصهيوني يغلي من الداخل؟!

عودة الحرب ليست مفاجأة، وإنما استمرارها إلى هذا الوقت هي عين المفاجأة؛ فإن أهل غزة صامدون في وجه هذا العدو المجرم، وهنا يشاء الله تعالى أن تكون عودة الحرب مع ذكرى غزوة «بدرٍ» الكبرى، في ١٧ رمضان؛ فنشاهد عدداً من الصهاينة ومَن حالفهم مباشرة من قوى الظلام، وبصورة غير مباشرة من مخذّلين يصفون المجاهدين بأوصاف لا تليق بهم، في حين نرى ثلة من المجاهدين يقولون للصهاينة: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (آل عمران: ١٢).

ما نشاهده على الشاشات من عدد كبير من الشهداء لا يدل على انتصار الصهاينة، فنحن لنا عقيدة في ذلك قول الخليفة المجاهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا سواء؛ قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار».

إن عودة الصهاينة للحرب لن تقف عند حدود غزة فقط، حيث لو سارت الأمور كما يريد الصهاينة فلن يقف أمامهم شيء، وهذا لن يكون، بإذن الله تعالى، وبفضل أيادٍ متوضئة، وجباه ساجدة، وأكف متضرعة.

وهكذا نرى أن فشل مشروع ترمب بتهجير أهل غزة هو من عجَّل بنقض الميثاق.

والواجب علينا في هذه الأوقات الدعاء للمجاهدين، والقنوت في صلاة الفجر، ونحن صائمون، فالدعاء لأهل غزة عند الإفطار أظنه من الواجبات.

لا نريد عقد مؤتمرات وشجب العدوان ومثل هذا الكلام، بل نريد أفعالاً تجعل الصهاينة يعيدون حساباتهم مرة أخرى؛ ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١)■

صفقة القرن !
حق العودة

اليوم التالي
7 أكتوبر

هل تنجح سورية في إجهاض مخطط الصهاينة بإنشاء دويلة درزية في الجنوب؟

تقرير- محمد جمال عرفة:

منذ انتصار الثورة السورية وانهيار نظام بشار الأسد، الذي كانت تعتبره تل أبيب كنزًا استراتيجيًا يحافظ على الهدوء معها، ولا يحاول استعادة الجولان المحتل، والحراك العسكري والسياسي لا يتوقف في «إسرائيل»، بحثا عن حل، أو منطقة عازلة تقي الاحتلال الشر القادم من سورية مستقبلًا، في ظل تولي نظام إسلامي سني معاد لها سيحاربها آجلًا أو عاجلًا.

تقارير «إسرائيلية»، بجانب تصريحات قادة الاحتلال، وتحركات الجيش الصهيوني في جنوب سورية، أظهرت أن تل أبيب قررت إنشاء منطقة منزوعة السلاح بالقوة، في الجنوب حيث أغلبية درزية، بعدما استغلت فترة انهيار حكم الأسد، واحتلت المنطقة العازلة وفق اتفاق وقف إطلاق النار عام ١٩٧٤م، وتمددت في الجنوب.

التقارير والنوايا الصهيونية على الأرض، كشفت أن الهدف البعيد هو محاولة إنشاء دويلة درزية موالية لها، تكون عازلة بين «إسرائيل» وسورية، بحيث تحمي الاحتلال من أي هجمات أرضية محتملة من سوريين أو فلسطينيين على الجولان، وتكون مسمار تفتيت لكل سورية ضمن خطط صهيونية قديمة لتقسيمها (٥) كانتونات أو مناطق منفصلة على أسس دينية وعرقية وقبلية.

تمهيد الأرض

ضمن عملية تمهيد الأرض لهذه الدويلة الدرزية التي ليست سوى جدار عازل يحمي «إسرائيل»، أقام جيش الاحتلال ٦ مواقع دائمة بجنوب سورية، ومنع نشر قوات وأسلحة لجيش دمشق في الجنوب الذي لا يبعد عن العاصمة سوى ٦٠ كم، لترسيخ وجوده العسكري هناك على غرار الجولان بعد احتلالها.

ثم بدأت «إسرائيل» تعزز علاقتها مع الدروز بالمنطقة، وخطب ودهم بإرسال شحنات هدايا وغذاء وإطلاق تصريحات عن إدماجهم مع إخوانهم الدروز في الجولان، الموالين للاحتلال ويحاربون ضمن جيشه، وإعطائهم تصاريح عمل داخل «إسرائيل».

وضمن هذا الهدف كشفت صحيفة هآرتس العبرية، ١١ مارس ٢٠٢٥م، أن القيادة السياسية في «إسرائيل» أصدرت توجيهات صارمة بمنع أي تموضع عسكري للقوات السورية حتى عمق ٦٥ كيلومترًا من الحدود.

الهدف الصهيوني تفتيت سورية ٥ دويلات (كانتونات) دينية وعرقية منفصلة

ولفتت هآرتس إلى أن «إسرائيل» لن تسمح لسورية بنقل أي أسلحة بعيدة المدى، مثل قاذفات الصواريخ أو أنظمة أسلحة متقدمة، إلى المنطقة الواقعة ضمن نطاق ٦٥ كيلومترًا من الحدود، والتي تمتد حتى الطريق الواصل بين العاصمة دمشق ومدينة السويداء جنوب سورية (حيث أغلبية درزية).

وأفادت الصحيفة بأن «إسرائيل» تفرض سيطرة فعلية على منطقة تمتد من السياج الحدودي إلى عمق (٥) كيلومترات شرقا داخل الأراضي السورية، حيث تنتشر ثلاث فرق عسكرية إسرائيلية تعمل بشكل علني.

وصرح رئيس الحكومة «الإسرائيلية» بنيامين نتنياهو بأن «إسرائيل لن تسمح لقوات السلطات الجديدة في سورية بالتحرك جنوب دمشق». مشيرا إلى أن هذه المنطقة ستكون منزوعة السلاح، وكشف وزير حرب الاحتلال عن قصف الطيران «الإسرائيلي» عدة مرات لقوات سورية كانت تقترب من الحدود لفرض سيادة الدولة السورية.

ووجه وزير الحرب «الإسرائيلي» تهديدات صريحة للرئيس السوري أحمد الشرع، قائلا: «في كل صباح عندما يفتح الجولاني (أحمد الشرع) عينيه في القصر الرئاسي بدمشق، سيرى الجيش «الإسرائيلي» يراقبه من مرتفعات جبل الشيخ وسيدرك أننا هنا».

وبرر ذلك بـ«حماية سكان الجولان والجليل (الدروز) من أي تهديد يمثله هو أو أصدقاؤه الجهاديون»، وفق زعمه، واعترف وزير الحرب بقصف عشرات المواقع العسكرية السورية ومنع تقدم قوات سورية نحو الحدود.

واقترنت الهجمات «الإسرائيلية» على سورية والتوغل واحتلال مناطق في القنيطرة وغيرها، بمطالبة رئيس الوزراء «الإسرائيلي» بنيامين نتنياهو بنزع السلاح الكامل في جنوب سورية، وقول وزير حربه إنهم لا يريدون أن يتحول لجنوب لبنان أخرى.

لكن جانبًا آخر من هذه السياسة «الإسرائيلية» يشير لبدء الاحتلال فعليًا تنفيذ خطة لإنشاء إقليم درزي منفصل عن سورية، بحيث يكون منطقة عازلة، ضمن أحلام صهيونية قديمة بتقسيمها لخمسة أقاليم منفصلة (كانتونات)، بما يخدم مصلحة «إسرائيل».

الدروز في حمايتنا!

وكان الجزء الثاني الذي بدأ الاحتلال يتحرك في إطاره، هو التعهد بحماية الدروز وتهديد الحكومة السورية بقصف قواتها لو حاولت التحرك ضد الدروز الخائنين الذين سيتعاونون مع الاحتلال.

فقد ادعى نتنياهو حمايته الأقلية الدرزية وقال وزير حربه: «لدينا التزام كبير تجاه أصدقائنا الدروز في سورية، ونحن نسعى للحفاظ على التواصل معهم».

كما قرر الجيش «الإسرائيلي» إنشاء وحدة تنسيق وارتباط تابعة لمنسق أعمال الحكومة في المناطق المحتلة، بهدف إقامة علاقات مع سكان القرى الدرزية السورية القريبة من الحدود، وسمح منذ ١٦ مارس بدخول الدروز السوريين للعمل في الجولان السوري المحتل في قطاعي البناء والزراعة.

أيضا بدأ جيش الاحتلال يعرض خدماته على الدروز مثل تحسين البنية التحتية في القرى الدرزية الحدودية داخل سورية، إصلاح شبكات المياه وتحسين الخدمات الطبية، وتنظيم لقاءات بين العائلات الدرزية في سورية و«إسرائيل»، حيث يعيش حوالي ٤٠ ألف مدني سوري حاليًا في المناطق التي يسيطر عليها الجيش «الإسرائيلي» في سورية، من بينهم ٢٥ ألفًا في الجولان و١٥ ألفًا في سفوح جبل الشيخ، معظمهم من الدروز الذين تحاول «إسرائيل» تعزيز العلاقة معهم لتقسيم المجتمع السوري.

وسبق أن كتب المحلل «الإسرائيلي» رامي سيمني في صحيفة يديعوت أحرونوت، ٢٩ ديسمبر ٢٠٢٤م، يقول إن: «مصلحة «إسرائيل» تقسيم سورية إلى خمسة كانتونات».

وجاءت الخطوة الأخطر بالتنسيق مع رئيس الطائفة الدرزية الخائن والرافض للحكم الجديد في سورية حكمت الهجري لزيارة (١٠٠) من شيوخ الدروز لـ "إسرائيل" يوم ١٤ مارس ٢٠٢٥م، بدعوة من نتنياهو وموفق طريف رئيس طائفة دروز «إسرائيل»، الذي يشارك في جيش الاحتلال ضمن نظرية حلف الدم مع الصهاينة.

وقبل أن يذهب إلى «إسرائيل»، قال ما يسمى شيخ الدروز حكمت الهجري الذي لعب دورًا في هجمات الساحل السوري ضد الجيش والشرطة: «لا وفاق ولا توافق مع السلطات في دمشق وسنذهب لما هو مناسب لنا كطائفة»!

ويبدو أن الهدف «الإسرائيلي» لاستضافته مع (١٠٠) شيخ درزي هو التمهيد لإنشاء "دويلة درزية" في جنوب سورية لتكون حاجزًا بين الصهاينة وسورية، وهو ما يشكل تحديا لحكومة دمشق، رغم أن هناك خلافات بين الدروز، ولا يدعم أغلبهم التعاون مع الاحتلال.

حيث تستهدف خطة «إسرائيل» تجزئة سورية على أسس طائفية أو عرقية سواء في الجنوب أو في الغرب أو في الشمال الشرقي، واللعب خصوصا بالورقة الدرزية، بجانب استمرار إضعافها عسكريا وفرض أمر احتلالي في الجنوب، لتسهيل انفصال الدروز.

وبينما يعتقد بعض الدروز أن «إسرائيل» تساعدهم في إنشاء دولتهم الخاصة وتدعم الأقليات، وعلى هذا يقدمون الولاء لها، بل سعى بعضهم لتأسيس "المجلس العسكري للسويداء"، لكن الحقيقة هي أن «تل أبيب» تنشئ خطوط دفاع متقدمة على حدودها وتستخدم الدروز دروعًا بشرية لحماية مدنها الحدودية من أي هجوم مستقبلي، حسبما يؤكد المراقبون.

كيف تم إجهاض الخطة؟

لا يقبل معظم دروز سورية بالتعاون مع الاحتلال الصهيوني، ورفضت العديد من قراهم استقبال مساعدات من

الاحتلال أو التعاون معه، إذ إن أغلبهم مع النظام الجديد وبدأوا التجنيد بالفعل في الجيش السوري وتشكيل قوات هناك تابعة للدولة السورية.

فهناك أكثر من جهة فاعلة في المجتمع الدرزي أقواها وأكثرها شعبية تلك المرتبطة بالشيخ وحيد البلعوس، وهذه القوة مؤيدة لسلطة الرئيس السوري أحمد الشرع.

وقد رد شيخ عقل طائفة الموحدين الدروز في محافظة السويداء حمود الحناوي على دعوة نتنياهو لحمايتهم قائلاً: «أبناء الطائفة لا يطلبون الحماية من أحد»، مؤكدا قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم، وأن التاريخ يشهد على ذلك.

وقال إن «الأخ أحمد الشرع أهل للثقة، ونرفض التدخلات الخارجية في الشأن السوري عمومًا وبالجنوب خصوصًا، وسيتم تفعيل أجهزة الأمن العام والجيش بالأيام القريبة في السويداء، وأي حديث عن السماح بتدخل «إسرائيلي» لا يمثلنا، ونحن دروز سورية ملتزمون بالسيادة».

"إسرائيل" استضافت ١٠٠ شيخ درزي للتمهيد لإنشاء الدويلة لتكون درعاً للصهاينة

وقد دفع هذا الرئيس الشرع للقاء وفد من شخصيات درزية بارزة عدة، من بينها ليث البلعوس، نجل الشيخ وحيد البلعوس، مؤسس حركة "رجال الكرامة" أهم فصائل السويداء المعادية للاحتلال، وتم الاتفاق على خطوط توافق ضد الاحتلال، تقطع الطريق على استغلال نتنياهو الورقة الدرزية لتثبيت وجوده في جنوب سورية.

وقد أكد البلعوس (الابن) لقناة الحرة الأمريكية ٢٦ فبراير ٢٠٢٥م، أن الدروز مع الدولة السورية الموحدة ويرفضون الاحتلال «الإسرائيلي» وينسقون مع الشرع.

ويعول الشرع على أن سكان الجنوب السوري بمحافظاته الثلاث (القنيطرة، درعا، السويداء) يُجمعون على رفض أي محاولة لتقسيم البلاد تحت أي ذريعة، ما ينسف هذه الخطط الصهيونية تمامًا.

الإعلان الدستوري والاتفاق مع الأكراد والدروز المناهضين لـ«إسرائيل» خطة الشرع المضادة

وقابل دروز في السويداء دعوة نتنياهو لحمايتهم برفض قاطع ونظموا مظاهرات منددة بما قاله.

أيضا ضمن خطط الدولة السورية لإجهاض المحاولات الصهيونية لإنشاء دويلة درزية تم وضع إعلان دستوري جديد يحفظ حقوقهم ودمجهم في العديد من المؤسسات والقيام بلقاءات مع قادتهم الموالين للدولة السورية الموحدة.

وخلال الحوار الوطني السوري، الذي عقد بقصر الشعب الرئاسي في دمشق، دعت الأطراف المشاركة إلى الحفاظ على وحدة الأراضي السورية ونددت بالتوغل «الإسرائيلي»، وقالت إن العقوبات الغربية المفروضة على سورية يتعين إلغاؤها.

وندد البيان الختامي بتوغل «إسرائيل» في جنوب البلاد، مطالبًا بانسحاب قواتها، لكن بعد ساعات شن جيش الاحتلال غارات جوية على عدة مواقع في منطقة الكسوة جنوب دمشق وفي ريف درعا.

وكانت الخطوة الأهم للرئيس الشرع لمنع تفتيت سورية وفق الخطة الصهيونية هي توقيع اتفاق مع قوات (قسد) الكردية في شمال سورية، لدمجهم في الدولة السورية والجيش، وعودة حقوق النفط للدولة المركزية، وهي خطوة منعت حريقًا كبيرًا في الشمال، كي يتم التركيز على الحريق الدرزي في الجنوب ■

توقيف رئيس بلدية إسطنبول أكرم إمام أوغلو يعمق الاستقطاب في تركيا

د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

أدى توقيف السلطات التركية لرئيس بلدية إسطنبول الكبرى والقيادي في حزب الشعب الجمهوري المعارض أكرم إمام أوغلو لتسخين الحياة السياسية في البلاد، وتعميق الاستقطاب، واحتشاد أنصار إمام أوغلو في الشارع بدعوى أن القضايا التي يحقق معه على ذمتها استهداف سياسي له بعدِّه مرشحاً محتملاً لمنافسة الرئيس رجب طيب أردوغان، في الانتخابات الرئاسية المقبلة.

قبل التوقيف الأخير، كانت رفعت ضد رئيس بلدية إسطنبول قضايا بعدة تهم، من بينها تهمة ازدراء القضاء بعد تصريح له ينتقد قرار إعادة الانتخابات المحلية في إسطنبول في عام ٢٠١٩م، وقضية تتعلق بنزاهة المناقصات في بلدية حي بيليك دوزو في إسطنبول التي رأسها إمام أوغلو بين عامي ٢٠١٤ - ٢٠١٩م، فضلاً عن تحقيق بخصوص قانونية شهادته الجامعية، لا سيما وأن الحصول على شهادة جامعية من بين شروط الترشح للانتخابات الرئاسية.

في ١٩ مارس ٢٠٢٥م، أوقفت السلطات التركية أكرم إمام أوغلو ضمن عشرات الأشخاص من أصل ١٠٦ مطلوبين، منهم مستشارون له وسياسيون ورجال أعمال وإعلامي، للتحقيق معهم في ٣ قضايا بناء على اتهامات ترتبط بالفساد المالي ودعم الإرهاب وقضية «مظاهرات جزي بارك» في عام ٢٠١٣م، كما أعلن المدعي العام الجمهوري في إسطنبول عن وضع اليد على شركة «إمام أوغلو» للبناء؛ وهي شركة عائلية يملك إمام أوغلو الجزء الأكبر من أسهمها، وفق تقارير إعلامية.

في قضية الفساد المالي، يحقق مع إمام أوغلو بعدة تهم في مقدمتها «مناقصات غير قانونية في شركات تابعة للبلدية»، و«فساد في المناقصات»، و«الاحتيال»، و«السيطرة على المعلومات الشخصية بطرق مخالفة للقانون»، و«ارتكاب أعمال رشوة منظمة»، وأسندت الاتهامات، إضافة لرئيس البلدية، لشركات الإعلام والثقافة والبناء وصيانة الطرقات، وضمت لائحة المتهمين في هذه القضية مستشار إمام أوغلو ومدير حملته ومديري الشركات المذكورة وإداريين فيها ورجال أعمال وفنان معروف.

وأما القضية الثانية فمرتبطة

بالإرهاب، وتعود للانتخابات المحلية الأخيرة في مارس ٢٠٢٤م، حيث كان حزب ديمقراطية ومساواة الشعوب (كردي) لما أسماه «توافق المدينة» الذي عنى عدم تقديم الحزب مرشحين، حيث يمكن دعم مرشح المعارضة وتحديداً حزب الشعب الجمهوري للفوز، وتحديداً في إسطنبول التي لم يقدم فيها مرشحاً لرفع فرص فوز إمام أوغلو، رأى الادعاء العام في هذا المسار هدف زيادة فاعلية حزب العمال الكردستاني في المدن الكبرى، واتهم بعض المنتخبين على قوائم الشعب الجمهوري لمجلس البلدية وبعض المعينين في البلدية كمساعدين للرئيس (إمام أوغلو) بالانتماء لمنظمات إرهابية (الكردستاني) ودعمها.

وقالت صحيفة الادعاء: إن إمام أوغلو بنفسه أقرَّ قوائم أعضاء المجلس البلدي لمدينة إسطنبول؛ وبالتالي فقد اقترف جرم مساعدة منظمة العمال الكردستاني الإرهابية، بينما ادعت تقارير صحفية مقربة من الحكومة، أن إمام أوغلو دفع مبالغ مالية ضخمة للفرع الأوروبي للكردستاني لضمان عدم ترشيح زوجة القيادي الكردي المعروف والمعتقل صلاح الدين دميرطاش لرئاسة بلدية إسطنبول.

وقد وجهت الاتهامات في هذه القضية لـ٧ أشخاص منهم -إضافة لإمام أوغلو- مساعد سكرتير بلدية إسطنبول الكبرى، ورئيس بلدية حي شيشلي في إسطنبول ونائبه.

وأما القضية الثالثة تعود لعام ٢٠١٣م، الذي شهد مظاهرات «جزي بارك» في إسطنبول التي تحولت لأعمال فوضى وتخريب، والمتهم الرئيس فيها الصحفي المعارض إسماعيل صايماز، حيث وجه له الادعاء العام تهمة العمل على توسيع الاحتجاجات وتعميقها.

بين السياسي والقانوني

اعتقال إمام أوغلو مثال جيد على القضايا التي يشتبك فيها القانوني

إيقاف إمام أوغلو للتحقيق في ٣ قضايا ترتبط بالفساد المالي ودعم الإرهاب و«مظاهرات جزي بارك» عام ٢٠١٣م

الاعتقال مثال على القضايا التي يشتبك فيها القانوني مع السياسي ويؤثر في الاقتصادي والشعبي بأشكال عديدة

مع السياسي، ويؤثر في الاقتصادي والشعبي بأشكال عديدة؛ ويتهم المعارضون الرئيس أردوغان بتلفيق الاتهامات لإمام أوغلو لمنعه من الترشح للانتخابات الرئاسية بعدّه مرشحاً محتملاً وقوياً ضده، بينما يرى أنصار الرئيس أن إمام أوغلو سياسي فاسد يحاول ادعاء المظلومية للتغطية على تورطه في الفساد.

والحقيقة أنه لا يمكن أبداً تجنب الأبعاد السياسية للقضية مهما كانت مسوغاتها القانونية، بالنظر إلى شخصية إمام أوغلو، فهو رئيس كبرى بلديات البلاد التي تتجاوز ميزانيتها ميزانية عدة وزارات، وهو إلى ذلك سياسي طموح لا يخفي نيته الترشح لرئاسة البلاد، إضافة لكونه قيادياً بارزاً في أكبر أحزاب المعارضة في البلاد؛ من هذه الزاوية، ومهما كان مدى مصداقية الاتهامات ثم الحكم الذي سيصدر في النهاية ضده أو لصالحه، فالكثيرون ينظرون للقضايا من زاوية سياسية، إن لم يكن من حيث الدوافع فمن حيث التبعات.

ولذلك فقد كانت حشود المعارضة في إسطنبول وتحديداً أمام مبنى البلدية الرد الأوّلي والسريع لأنصار إمام أوغلو والشعب الجمهوري، بينما تأثر سعر صرف الليرة ونشاط البورصة بشكل سلبي ومباشر بخبر الاعتقال على ذمة التحقيق بعده مؤشراً على توتر سياسي في البلاد غير واضح النتائج.

الأبعاد السياسية لا تقف عند اتهام الرئيس أردوغان بتصفية حسابات سياسية مع إمام أوغلو كمرشح منافس له في المستقبل، ولكن حتى بحالة التدافع الشديدة داخل صفوف الشعب الجمهوري، فقد قاد إمام أوغلو جهود معارضة الرئيس السابق للحزب كمال كليجدار أوغلو، ثم دعم الرئيس الحالي أوزغور أوزال الذي ترشح للرئاسة، وهناك من لا يريده مرشح الحزب للرئاسة، كما أن هناك تياراً محسوباً على الرئيس السابق يبدو أنه في طور تصفية الحسابات مع الفريق الفائز برئاسة الحزب بعد أن اتهمه بتصفيته من هيئات الحزب القيادية.

ولذلك، فقد حرصت تقارير إعلامية محسوبة على العدالة والتنمية، وحتى بعض الإعلاميين المعارضين، على التأكيد أن الاتهامات الأولى والوثائق العديدة التي تدين إمام أوغلو أتت أصلاً من قيادات وشخصيات داخل حزب الشعب الجمهوري؛ الأمر الذي أدى لفتح التحقيق بهذا الخصوص.

المـــــآلات

وفق ما سبق، يمكن -نظرياً- أن تكون الاتهامات الموجهة للقيادي المعارض حقيقية بالكامل أو جزئياً أو ملفقة، ويمكن أن يكون المسار بكامله قانونياً أو سياسياً أو استثماراً سياسياً لمسار قانوني، لكن ينبغي الإشارة إلى أن العدد الكبير من المتهمين والموقوفين والإشارات لمعترفين على إمام أوغلو من سياسيين وإداريين محسوبين على حزب الشعب الجمهوري المعارض يمنح الاتهامات مصداقية نسبية، وإن كان يتعذر الجزم بمصداقية الاتهامات والتسريبات الإعلامية أو دحضها قبل استكمال التحقيق، فضلاً عن أهمية التوقيت والسياق السياسي في البلاد كمؤشرات على البعد السياسي الحاضر.

يمكن أن ترتد القضية سلباً على الرئيس أردوغان والعدالة والتنمية في حال لم يكن المسار القانوني متماسكاً ومقنعاً

ولأن الانطباعات تتغلب على الحقائق في كثير من الأحيان في عالم السياسة، سيكون المحك الأهم في استشراف مآلات القضية هو مدى قدرة السلطات التركية وخصوصاً وزارتي العدل والداخلية على إثبات الأصل القانوني والحقوقي للاتهامات الموجهة لإمام أوغلو، فذلك أجدر أن يحيّد أطيافاً مهمة من الشعب التركي (وليس بالضرورة أنصار الشعب الجمهوري)، بينما إن فشلت في ذلك فستعزز الاتهامات الموجهة للحكومة بتصفية الحسابات السياسية معه.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن موضوع «المظلومية» له رصيد لدى الشعب التركي وخصوصاً في صناديق الاقتراع، فقد ساهم حرمان أردوغان من حقوقه السياسية وسجنه بعد الأبيات الشعرية الشهيرة في بداياته في التفاف الناس حوله وتسليمه حكم البلاد في انتخابات عام ٢٠٠٢م.

كما كان لقرار إلغاء انتخابات بلدية إسطنبول الكبرى في عام ٢٠١٩م دافعاً لزيادة الفارق -لصالح إمام أوغلو- في انتخابات الإعادة بشكل واضح وملموس (من قرابة ١٨ ألفاً إلى زهاء ٨٠٠ ألف صوت) بالنظر لعدم اقتناع الكثيرين بقرار الإلغاء؛ وعليه، فإن مدى قناعة الشارع التركي بمصداقية الاتهامات سيحدد، إلى جانب المسار القانوني، مستقبل الاحتجاجات في البلاد، ومستقبل إمام أوغلو السياسي وكذلك نتائج أي انتخابات مقبلة.

كما أن نوعية الاتهامات الموجهة لإمام أوغلو، وخصوصاً اتهامات الرشوة والفساد المالي والتعاون مع منظمة إرهابية، توحي باستمرار توقيفه أو اعتقاله لمدة زمنية طويلة نسبياً، وهو ما يرجح وضع وصيٍّ من قبل وزارة الداخلية على بلدية إسطنبول الكبرى، وهو تطور من شأنه إن حصل أن يفاقم الاستقطاب السياسي في البلاد.

من جهة أخرى، يمكن أن ترتد القضية برمتها سلباً على الرئيس أردوغان وحزب العدالة والتنمية في حال لم يكن المسار القانوني متماسكاً ومقنعاً، فيتحول الأمر في نهاية المطاف إلى تقييم سلبي لهما، في العموم وكذلك في أي انتخابات

مدى قناعة الشارع التركي بمصداقية الاتهامات سيحدد مستقبل إمام أوغلو السياسي ونتائج أي انتخابات مقبلة

مقبلة؛ ولذلك، يرى بعض أنصار العدالة والتنمية أن بعض الأطراف في الشعب الجمهوري تقصدوا توجيه الاتهامات لإمام أوغلو بحيث يتخلصون منه من جهة، ويؤثرون على مصداقية وفرص أردوغان من جهة أخرى باتهامه بالتنكيل بالمعارضة السياسية ومنافسيه، وبذلك يكونون قد أصابوا أكثر من عصفور بحجر واحد.

ولذلك، يبقى من الصعب وفق المعطيات الحالية الحكم على القضية وتطوراتها بشكل دقيق، أهي مغامرة غير محسوبة، أم مؤامرة، أم مجرد قضية قانونية عادية، أم مسار يختلط فيه السياسي بالقانوني والداخلي بالخارجي، فهذا برسم ما سيخرج من التحقيق ثم قرارات المحاكم لاحقا، لكنها بلا شك من أكبر القضايا التي يمكن أن تؤثر في الحياة السياسية والاقتصادية في البلاد، اليوم وعلى المدى البعيد، تبعاً لنتائجها وتبعاتها وما سيترتب عليها ■

بأي وجهٍ جئتَ يا عيد! (لأهل غزة)

إيمان مغازي الشرقاوي
ماجستير الدعوة بجامعة المدينة العالمية

نظرتْ إليه وهو يهل بوجهه الجميل على استحياء، وقد شابَهُ حزن كبير وكأنه يتألم! ولولا أنه عبدٍ مأمور ليس له إلا الطاعة المطلقة لَما ظهر لها، وتراءت أمام مخيلتها صورة أبيها المفقود وأمها الجريحة وإخوتها تحت الأنقاض وخيالات النازحين، وبلدتها المحتلة وحَيّها المُهدم! قبورٌ منبوشة لم يَسلم أصحابها من الاعتداء عليهم وهم أموات، وفتيان في عمر الزهور مبتورة أقدامهم، ورضّع خُدّج خمدت أنفاسهم وقد سُلبت منهم الحياة، أحياء كاملة سُويت بالتراب دون مراعاة أي حرمة لطفل رضيع أو رجل مسن، أو امرأة ضعيفة، أو حيوان بريء.

وتتسارع الصور أمام عينيها وكأنها تراها رأي العين؛ أطفال يصرخون وقد يُتِّموا؛ يبكون آباءهم وأمهاتهم، فقد صاروا بلا أب يرعاهم ولا أمّ تضمهم! وبنات كالزهرات وقد قطفت النضرة من وجوههن التي اغبرت بالتراب وآثار الهدم من حولهن، يهرولن سعياً وراء الحياة، يجرين على غير هدى أملاً في النجاة التي باتت أشبه بالمستحيل، مساجد ومدارس وجامعات ونوادٍ ومستشفيات كانت رمزاً للعلم والقوة والحياة لم يعد لها وجود.

شريط من الصور المتلاحقة يطاردها كل لحظة وثانية في منامها وصحوها لا تستطيع منه الفكاك، تصرخ في أعماقها أين أمي وأبي وأسرتي وإخوتي وعائلتي؟ أين بيتي وغرفتي وصديقتي؟!

أفاقت من صورها المترائية لها لتعيش الحقيقة المؤلمة حيث هل هلال العيد عليها وهي تعيش أتراحه بدلاً من أفراحه، تتجرع فيه مرارة الفقد وآلام الحرمان، فلا أب ولا أم ولا بيت ولا عائلة، لا حلوى ولا كعك العيد ولا زينته ولا ملابسه ولا هديته! بل ولا أمن ولا أمان ولا حب ولا سلام؛ فعلمت عندئذ لماذا هلالها اليوم حزين، بعد أن كان ظهوره علامة الفرحة ومصدر السرور، لكنها مع ذلك تغلبت على مشاعرها الصادقة وآلامها المبرحة ورددت بصوت شجي تتوسل إلى الله، اللهم أهلّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام.

وعندها أدركت كم أن نعمة الأمن نعمة غالية خصها النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر في هذا الدعاء فتصدرت كلماته فكانت أولى الدعوات.

هلال العيد:

ها هو هلال العيد قد هلَّ على المسلمين إنباءً لهم بحلول عيدهم، فظهور الهلال رمز التمام، وعلامة الختام، من يراه يرى فيه تجدد الحياة ودورانها، وأفولها أيضاً وانقضاءها، ومع كل إطلالة للهلال يطل الأمل لمن يراه بطول العمر، وتتجدد النية الخالصة بإحسان العمل فيما تبقى منه.

ومع ختام رمضان، فإن المسلم يتقلب بين جناحَي الخوف والرجاء؛ الخوف من أن يرد الله عليه عمله، والرجاء والطمع في قبوله، وبعد شهر من الصيام والقيام، وتدريب النفس على كبح جماحها والرقي بعزمها وإرادتها، فاز مَن فاز من الصائمين ممن نجح في اختبار هذه المدرسة الرمضانية التي تفتح أبوابها

للمسلمين شهراً في العام، ولهؤلاء الفائزين البشارة العظيمة من نبينا صلى الله عليه وسلم حيث قال: «للصَّائم فَرْحَتَان يَفْرَحُهُمَا: إذَا أفْطَرَ فَرِحَ، وإذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بصَوْمِه» (رواه البخاري)، فهل تكتمل فرحة المسلمين بعيد الفطر هذه الأيام؟!

الفرحة التي سُرقت:

لقد هل هلال العيد على أهل غزة بعد أفول هلال رمضان، لكن فرحتهم بالعيد لم تكتمل، إنها فرحة مبتورة الساقين لا تستطيع أن تنهض لتصل إليهم! فقد عانى أهل غزة ما عانوا، كانوا صوّاماً بلا سحور، ومفطرين بلا إفطار، وقوّاماً بلا مساجد، لا يجد الصائم منهم في يومه رغيفاً من الخبز لعياله ليفطروا عليه أو لقيمات يابسة ليتسحروا بها!

ولم يجدوا مَن يقوم من الناس برفع الجوع عنهم ومنع القتل والتدمير والحصار الحاصل لهم، وذلك في عصر يُدّعَى فيه التحضر والتقدم، وينادَى فيه بحقوق الإنسان، وتُرفع الشعارات المطالبة بحقوق المرأة وحقوق الأطفال التي اتضح أنها ليست من أجلهم، تقوم الدنيا ولا تقعد لأقل الأسباب والقضايا بينما آلاف الأطفال والنساء والشباب والرجال قتلوا وقصفوا بغير ذنب جنوه! تفقد الأم أولادها جملة واحدة، ويُحرم الطفل من والديه معاً، وتُباد الأسرة كلها دفعة واحدة، ولا صوت لأهل الحقوق يُسمَع!

وحين وُئد الأطفال جوعاً، وتجرعت الأمهات مع الجوع كأس الفقد المُرة، وقهر الرجال ودفع بعضهم حياته ثمناً لكيس من الطحين قد يُعجن بدمه؛ لم يطالب لهم بحق في الحياة الكريمة من هيئات الحقوق! يُسمع الخبر ويُتداول ويُرى ويعايَن وكأن شيئاً لم يحدث، فهل هذه الحقوق محفوظة فقط لأناس غيرهم، ونساء وأطفال آخرين دونهم؟ وكأن هؤلاء المستضعفين ليسوا بشراً أو هم من عالم آخر!

أتراح العيد:

لقد جاء هلال العيد حاملاً معه أتراح وأحزان المستضعفين في أرض الإسراء؛ فهم لا يعرفون كيف يفرحون ولا متى يحتفلون بالعيد، ومع من يكون الاحتفال! فقد أطل عليهم وأحبابهم ما زالوا تحت الأنقاض لا هم في بيوتهم آمنين ولا في قبورهم مكرمين!

لقد أتى العيد إليهم وأب من الآباء يقول: «لم يعد لي أحد في الدنيا، مع من أحتفل بالعيد»!

أتى العيد على أمّ تكلم نفسها وقد اختطف ابنها: «إيش عملوا فيك يا حبيبي؟!».

أتاهم العيد وطفلة من أطفالهم تبكي أخاها الشهيد وتقول: «رجّعوا لي إياه، كان نايم بحضني»، والطفل يبكي أخاه وصديقه مردداً: «شو ذنبهم؟!»، وقد قتلوا غدراً! أو يحمل أخاه الرضيع وهو يرتجف قائلاً: «وحياة الله خائف»!

أتى العيد على أهل غزة والحلم الأكبر لهم تجسده هذه الأم: «حلمي أعود لبيتي، وأولادي يرجعون لجامعاتهم».

المؤمنون إخوة:

إن كان هذا هو عيد أهل غزة، فإن قلوب المؤمنين تشاطرهم أحزانهم وتسعى للتخفيف من معاناتهم وآلامهم، إنها تدعو لهم ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، لا يهدأ لهم نوم، ولا يغمض لهم جفن! قلوبهم تعتصر حزناً لأجلهم ويودون لو يفتدونهم بأنفسهم وأموالهم، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ المُؤْمنينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذَا اشْتَكَى مِنه عُضْوٌ تَدَاعَى له سائرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى» (رواه مسلم).

إنه تداعي المسلم من أجل أخيه المسلم، بقية جسده وإلف روحه، تداع يدفع المسلم إلى رفع المعاناة والكربَ عن أخيه في أي مكان بكل ما يستطيع من أسباب مشروعة تخفف من معاناته وقهره واستضعافه.

ومع كل ذلك، فإن المؤمنين في كل مكان يوقنون تماماً أن في أقدار الله وقضائه حِكَماً لا نعلمها، وأن في ثنايا الابتلاء والتمحيص خيراً كثيراً، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم مبشراً: «واعلم أنَّ الصَّبرَ على ما تكرهُ خيرٌ كثيرٌ، وأنَّ النَّصرَ معَ الصَّبرِ، وأنَّ الفرجَ معَ الكربِ، وأنَّ معَ العسرِ يسراً» (رواه البيهقي).

فإن أتى هذا العيد الآن بأتراحه فحتماً سيأتي غداً بأفراحه، غداً ستُبنى الديار، ويأمن الخائف، ويرجع النازح، غداً ستُفتح المدارس وتؤسَّس الجامعات وتعلو المآذن، غداً سوف يولد الأولاد وتكبر الأسَر وتمتد العائلات، وغداً يعود الحق لأهله مصداقاً لوعد الله عز وجل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧)، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ (الروم). ■

يا حامل القرآن (6)
خطوات لتدبر القرآن.. في الصلاة وناشئة الليل

د. خالـد أبو شـادي
داعيـــة إسلامـــي

نستكمل في هذا المقال ما بدأناه في المقال السابق خطوات تدبر القرآن، وهي:

ثالثاً: تدبرك في الصلاة أحلى وأيسر:

قال الله عز وجل مخبراً عن عبده زكريا: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ (آل عمران: ٣٩)، المحراب محل البشريات، وموضع التجليات، فضلاً عن ثواب الصلاة، فقراءتك في الصلاة أعظم من ثواب القراءة خارجها؛ فإنك في الصلاة أكثر خشوعاً وأعظم حضوراً للقلب، وتدبرك لآيات الله أيسر وأقرب، فاغتنم صلواتك في تدبر آياته، وتعرَّض للبركات الربانية التي تتعرض لها أثناء اتصالك به في الصلاة لتقوم بدورها في صنع روحك وتغيير سلوكك.

رابعاً: وناشئة الليل أقومُ قيلاً:

الرب شكور، يقابل الخطوة منك بخطوات، والشبر منك بالذراع، وذراعك بالباع، ومشيك بالهرولة، فإذا نزعت نفسك من فراشك ليلاً وآثرته على نومك وشهوتك، كافاك ربك بأن فتح لك كنوز آياته ولطائف معاني كتابه، قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ (المزمل: ٦).

فلأن مكابدة المشقة ونزع النفس من لين الفراش أشد وطئاً؛ كافأ الله صاحبها بأن جعله «أقوم قيلاً»؛ أي أكثر تدبراً للقرآن وأشد فهماً لمعانيه ومراميه.

خامساً: القـــراءة في كتـــب التفسير تنمي ملكة التدبر:

إن كثرة مطالعة كتب التفسير تفتح للعبد آفاقاً جديدة لتدبر القرآن، فقد فتح الله لعلمائنا السابقين والمعاصرين أبواباً عظيمة في فهم القرآن، وقاموا بإيداع هذه الوقفات التدبرية في كتبهم؛ ما يجعل قارئ هذه الكتب يقرأ القرآن بروح جديدة وعين بصيرة وقلب يتلهف على تلقف أنوار القرآن واستقبال آياته للعلم والعمل.

وإليك هذه الآيات تدبرها علماؤنا واستخلصوا منها معاني رائعة بعد أن عرفوا مراميها، لعل قراءتها تساعدك على السير في نفس الطريق والنسج على نفس المنوال:

- ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

(آل عمران: ١٤٨)؛ قال الإمام البقاعي: ولما كان ثواب الدنيا كيفما كان، لا بد أن يكون بالكدر مشوباً، وبالبلاء مصحوباً؛ لأنها دار أكدار، أعراه من وصف الحسن وخص به الآخرة فقال: ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾.

- ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٠٩)؛ قال القرطبي: وفي الآية دليل على أن عقوبة العالم بالذنب أعظم من عقوبة الجاهل به.

- ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ (المائدة: ١٤)؛ قال ابن تيمية: نص في أنهم تركوا بعض ما أمروا به؛ فكان تركه سبباً في وقوع العداوة والبغضاء المحرمين، وكان هذا دليلاً على أن ترك الواجب يكون سبباً لفعل المحرم كالعداوة والبغضاء.

- ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٩)؛ قال القرطبي: وهذا تهديد للظالم، إن لم يمتنع من ظلمه؛ سلَّط الله تعالى عليه ظالماً آخر.

- ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ (التوبة: ٩١)؛ قال البقاعي: إشارة إلى أن الإنسان محل التقصير والعجز وإن اجتهد، فلا يسعه إلا العفو.

- ﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحج: ٦٨)؛ قال القرطبي: في هذه الآية أدب حسن، علَّمه الله عباده في الرد على من جادل مراء ألا يجاب ولا يناظر ويكتفى بهذا القول الذي علمه الله تعالى نبيه.

- ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ (طه: ١٣٠)؛ قال ابن القيم: أمره أن يستعين به على الصبر، وهو التسبيح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وبالليل وأدبار السجود.

- ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠)؛ قال ابن كثير: وكان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إني أجبتُ دعوتك وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني؛ فارزقني من فضلك، وارزقني وأنت خير الرازقين.

- ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤)؛ الظالم لا يصلح أن يكون خليفة ولا حاكماً ولا مفتياً ولا شاهداً ولا راوياً.

- ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١)؛ قال ابن كثير: هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشريعة المحمدية والهدي النبوي في جميع أقواله وأفعاله.

ولكن احذر؛ فإن تدبرك في آيات القرآن يجب ألا يدفعك إلى أن تقول في كتاب الله ما ليس لك به علم، وإنما يعني الآتي:

- أن تستخرج من قراءتك واجباً عملياً مقتبساً من أمر أو نهي قرآني.
- تصحيح سلوك أو خلق سيئ.
- تدعيم سلوك إيجابي أو خصلة حميدة.
- ترقيق قلب أو زيادة خشية لآيات العذاب.

سادساً: الترقي في التلقي:

مما يعينك على تدبر القرآن بشكل مختلف أن تتنوع مصادر تلقيك له، كيف؟

- أن تستشعر يوماً أنك تسمع القرآن مباشرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت ماثل بين يديه مسروراً سعيداً كأنك تسمعه لأول مرة.
- أن تترقى فتستشعر أنك تسمعه من أمين الوحي جبريل وهو ينزل بالوحي على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتصفد عرقاً كأنه اللؤلؤ على جبينه من عظمة الوحي، في أول نزول لهذه الآيات على الأرض ولعالم البشر، تعيش هذه الأجواء في صلاة من صلواتك أو خلوة من خلواتك فتشعر أن للقراءة مذاقاً آخر.
- أو تترقى أكثر فتسمع القرآن كأنك تتلقاه من الله عز وجل حين تكلم به أول مرة.

هذه الطريقة نافعة في حضور القلب غاية النفع، ذلك أنها تلقي فيه التعظيم وتهيئة لاستقبال الوحي أعظم استقبال فيشرح الصدر بالنور ويمتلئ بالسرور.

سابعاً: الجهر بالقرآن:

إن رفع الصوت بالقرآن يطرد النعاس عن العين، ويصرف الشيطان عن القلب، ويسمع القارئ كلماته التي هي كلمات الوحي؛ فيكون قد استعمل جارحتين في استقبال كلام الله؛ لسانه وسمعه وهما يؤديان إلى قلبه؛ فيكون تدبره أفضل عند الجهر بالصوت، هذا في العموم، لكنه يختلف من شخص لآخر، فيكون الإسرار في حق البعض أجلب لحضور القلب، والجهر أنفع لآخرين.

إن غاب تدبرك يوماً فارفع صوتك واجهر به، وأسمع نفسك آيات ربك، واستخرج كنوزها وأبشر بكل خير.

ثامناً: التخلص من الكِبْر ونجاسات القلب:

لماذا صرف الله تعالى أقواماً عن فهم آياته؟ لعلهم تكبروا، والكِبْر عقوبته صرف صاحبه عن فهم القرآن كما قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (الأعراف: ١٤٦)، ولذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: إذا كان المصحف الذي كتبَت فيه آيات القرآنُ لا يمسه إلا البدن الطاهر، فالمعاني التي هي باطن القرآن لا تمسها إلا القلوب الطاهرة، وأما القلوب النجسة فلا تمس حقائقه.

قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾، قال بعض السلف: هؤلاء انصرفوا فصرف الله قلوبهم، أعرضوا فأعرض الله عنهم، جادلوا في آيات القرآن ولم ينزلوا على حكمه، ساووا بين كلام الله وكلام البشر في الأخذ منه والرد؛ فزادهم الله بُعداً على بعدهم، كما قال: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ (الذاريات: ٩)؛ أي يصرف عن القرآن وفهمه من استوجب هذا بإعراضه وكبره ورجس قلبه.■

إعداد الدعاة في الحضارة الإسلامية (3)
توطين الدعاة على اليقين في الله تعالى

د. رمضان أبو علي
أستاذ جامعي، دكتوراة في الدعوة الإسلامية

روى أبو داود، والترمذي، عن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: دَخَلتُ على عُبادةَ، وهو مَريضٌ أتخايَلُ فيه المَوتَ، فقُلْتُ: يا أبتاه، أوصني واجتهِدْ لي، فقال: أجلسوني، فلمَّا أجلَسوه قال: يا بُنَيَّ، إنَّكَ لَنْ تَطعَمَ طَعمَ الإيمانِ، ولَنْ تَبلُغَ حَقَّ حَقيقةِ العلمِ باللهِ حتى تُؤمِنَ بالقَدَرِ خَيرِه وشَرِّه، قال: قُلْتُ: يا أبتاه، وكيف لي أنْ أعلَمَ ما خَيرُ القَدَرِ من شَرِّه؟ قال: تَعلَمُ أنَّ ما أخطَأَكَ لم يَكُنْ ليُصيبُكَ، وما أصابَكَ لم يَكُنْ ليُخطِئَكَ، يا بُنَيَّ، إنِّي سَمِعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: إنَّ أوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمُ، ثُمَّ قال: اكتُبْ، فجَرى في تلك السَّاعةِ بما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ، يا بُنَيَّ، إنْ مِتَّ ولستَ على ذلك دَخَلتَ النَّارَ.

في هذا الموقف دليل على اهتمام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرس اليقين في قلوب أبنائهم، واليقين هو التصديق الذي لا يقبل الشك ولا يحتاج إلى تجربة، وقد عرّفه الجرجاني بقوله: اليقين هو اعتقاد الشّيء بأنّه كذا، مع اعتقاد أنّه لا يمكن إلّا كذا، مطابقاً للواقع، غير ممكن الزّوال[1]، واليقين بهذا المعنى من أهم السمات التي تحلى بها الدعاة إلى الله تعالى في الحضارة الإسلامية.

فلماذا حرصت الحضارة الإسلامية على توطين الدعاة على اليقين في الله تعالى؟

أولاً: اليقين علامة على الإيمان، فمن أركان الإيمان أن نؤمن بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر يعني: اليقين بتقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه أنها ستقع في أوقات معلومة، وعلى صفات مخصوصة[2]، وقد اهتمت الحضارة الإسلامية بتربية دعاتها على هذا اليقين، ويدل على ذلك ما أخرجه الترمذي، وأحمد، عن عبدالله بن عباس قال: كنتُ رِدفَ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فالتفتَ إليَّ فقالَ: «يا غلامُ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظْكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أمامَكَ، تعرَّف إلى اللَّهِ في الرَّخاءِ، يَعرِفْكَ في الشِّدَّةِ، قد جفَّ القلَمُ بما هوَ كائنٌ، فلَو أنَّ الخلقَ كُلَّهُم جميعاً أرادوا أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يقضِه اللَّهُ لَكَ، لَم يَقدِروا عليه، أو أرادوا أن يضرُّوكَ بشيءٍ لم يقضِهِ اللَّهُ عليكَ، لَم يقدِروا عليهِ»، ففي الحديث دعوة إلى تربية النشء على معاني اليقين في الله

اليقين مفتاح الهداية والمعرفة والبيان فمن كان موقناً بربه فإنه يهديه إلى الصراط المستقيم

والمراقبة له وحسن التوكل عليه.

ثانياً: اليقين هو مفتاح الهداية والمعرفة والبيان، فمن كان موقناً بربه؛ فإن الله يهديه إلى الصراط المستقيم، ويكشف له حقائق الآيات، حيث يقول تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: ١١٨)، وقال ابن القيم: جميعُ منازل السائرين إنما تُفتتحُ بالمحبة واليقين، وهما يثمران كلَّ عمل صالح، وعلم نافع، وهدى مستقيم[٣].

ثالثاً: اليقين هو السبيل إلى الانتفاع بالآيات، فلا يفتح الله خزائنه إلا للموقنين، حيث قال تعالى: (وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (الجاثية: ٤)، وقال سبحانه: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ (الذاريات: ٢٠).

رابعاً: اليقين يهون الصعاب ويحقق الثبات ويبشر بالنصر، ففي مصنف أبي شيبة أن أبا ذر الغفاري لا يكاد يبقى له ولد، فعزاه الناس، فقال: نَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي يَأْخُذُهُمْ مِنَّا فِي دَارِ الْفَنَاءِ وَيَدَّخِرُ لَنَا فِي دَارِ الْبَقَاءِ[٤]، فقد أعانه اليقين على الصبر والثبات، بل إن اليقين يحقق الاطمئنان والسكينة، وفي هذا يقول منصور بن عبدالله: إذا استكمل العبدُ حقيقةَ اليقين صار البلاءُ عنده نعمة، والمحنةُ منّحة[٥]، فإذا قوي اليقين في القلب امتلأ بالشجاعة والإقدام، وهانت أمامه المصاعب والآلام، أما ضعيف اليقين فإنه متخاذل ومتردد ومتشكك في كل ما يقدم عليه، وهذا الصنف من الدعاة قد يكون أكثر ضرراً على الدعوة من غيره، حيث إنه يتخلى عن العزائم، ويبحث عن الرخص، ويضعف أمام الكثير من مواقف الحياة بما لا ينبغي أن يكون منه.

خامساً: اليقين هو السبيل إلى الإمامة في الدين، قال ابن القيم: سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ: بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤)[٦].

سادساً: اليقين يدفع إلى العمل والنشاط الدعوي، فهذا سيدنا مصعب بن عمير، الذي كان أترف غلام بمكة بين أبويه، وقد اشتهر في مكة بجمال ملبسه وطيب رائحته، وقد أنعم الله عليه بالإسلام، فكان من السابقين الأولين، ولما طلب أهل المدينة معلماً وداعياً إلى الله؛ أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعاش بينهم داعياً ومربياً، وبذل جهداً دعوياً فائقاً، حتى دخل الإسلام إلى كل البيوت في المدينة المنورة، ولم تشغله الدنيا وما فيها من متاع عن رسالته التي يوقن بثمرتها وحسن عاقبتها، فقد نُقل عنه أنه قُتل يوم «أحد»، ولم يترك إلا ثوباً صغيراً، إذا غطوا به رأسه ظهرت قدماه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غَطُّوا رَأْسَهُ وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الْإِذْخِرِ»[٧].

فإذا كان توطين الدعاة على اليقين في الله تعالى له فاعليته المهمة في البناء الحضاري؛ فما الوسائل التي اعتمدت عليها الحضارة الإسلامية في تربية الدعاة على اليقين؟

أولاً: اغتنام المواقف الحياتية، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه عدي بن حاتم الطائي، فيجد رجلاً يشتكي الفاقة، وآخر يشتكي قطع الطريق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عَدِيُّ، هل رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟»، قال عدي: لَمْ أَرَهَا، قَالَ: «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ،

النبي استعان في تربية أصحابه على اليقين بالقصص التي حكاها عن السابقين من المؤمنين

التربية على اليقين في الله سمة ضرورية للدعاة حتى تكتمل العقيدة في نفوسهم فتطمئن قلوبهم

لا تَخَافُ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ، ولَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى، ولَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ من ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ منه، فَلَا يَجِدُ أَحَداً يَقْبَلُهُ منه»، قال عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ، لا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بن هُرْمُزَ، ولَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ، لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عليه وسلَّمَ: يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ[٨].

فقد اغتنم الرسول صلى الله عليه وسلم الموقف الذي جاء فيه عدي، وحرص أن يغرس اليقين في قلبه، وهناك الكثير من المواقف النبوية مع أصحابه في الحديث عن المبشرات بانتصار الإسلام والتمكين له، بما يغرس اليقين في نفوسهم ونفوس من يأتي بعدهم إلى يوم القيامة[٩].

ويضاف إلى ذلك ما فعله الدعاة في الحضارة الإسلامية من اغتنام المواقف الحياتية في غرس اليقين في الناس، ومن ذلك ما حكاه الرَّبِيعُ بنُ أَبِي صَالِحٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ حِينَ جِيءَ بِهِ إِلَى الحَجَّاجِ، فَبَكَى رَجُلٌ، فَقَالَ سَعِيدٌ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: لِمَا أَصَابَكَ، قَالَ: فَلَا تَبْكِ، كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ هَذَا، ثُمَّ تَلَا: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: ٢٢)[١٠].

ثانياً: الاستعانة بالقصص التاريخية، فقد روى البخاري عن خباب بن الأرت قال: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنَا: ألا تَسْتَنْصِرُ لنا؟ ألا تَدْعُو لَنَا؟ فقالَ: «قدْ كانَ مَن قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فيُحْفَرُ له في

الأرض، فيُجْعَلُ فيها، فيُجاءُ بالمِنْشار فيُوضَعُ على رَأسه فيُجْعَلُ نِصْفَيْن، ويُمْشَطُ بأمْشاط الحَديد، ما دُونَ لَحْمه وعَظْمه، فما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دينه، واللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هذا الأمْرُ، حتَّى يَسيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخافُ إلَّا اللَّهَ، والذِّئْبَ على غَنَمِه، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

فقد استعانَ النبيُ صلى اللهُ عليه وسلم في تربية أصحابه على اليقين بالقصص التي حكاها عن السابقين من المؤمنين، حتى يقوي قلوبهم على الثبات والدعوة.

ثالثاً: التربية الوالدية، وفيها يقوم الوالد بغرس اليقين في نفس ولده، حتى يرتكز عليها في تكوينه الدعوي، ويدل على ذلك ما ثبت عن محمد بن الحسن بن نصر السوسي، الذي قال: غلا السعر في بلادنا، فقلت لأبي: اشتر لنا الطعام، فإني أرى أن السعر قد غلا، فقال: ادع لي الخادمة، قال: فدعوتها، فقال لها: اكتالي ما عندنا من القمح، قال محمد: فظننت أنه يشتري لنا ويزيدنا، فعرّفته الخادمة أن عندنا ثمانين مكيالاً من القمح، فقال لها: امضي به إلى السوق، واذهبي إلى الجروي الحنّاط وقولي له: يقول لك الشيخ: بع لنا هذا القمح، ففعلت الخادمة، ثم قال لي أبي: يا بني، إذا كان مُتّكلك على ما في يديك، فما أنت من المتوكلين على الله، يا بني، لا تكن قليل اليقين، فإن من توكّل على الله كفاه[11].

رابعاً: التربية الذاتية، وهي التي يحمل الداعية فيها نفسه على اكتساب الصفة التي يريدها، ومن ذلك ما ورد عن أبي بكر بن أبي الدنيا عن خالد بن معدان، قال: تعلموا اليقين كما تعلموا القرآن، حتى تعرفوه، فإني أتعلمه[12].

خامساً: الدعاء، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو باليقين في أغلب دعواته، فعن عبدالله بن عمر قال: قَلَّما كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقومُ من مجلسٍ حتى يدعُوَ بهؤلاءِ الدَّعَواتِ لأصحابِهِ: «اللهمَّ اقسِمْ لنا مِنْ خشيَتِكَ ما تحولُ به بينَنا وبينَ معاصيكَ، ومِنْ طاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنا به جنتَكَ، ومِنَ اليقينِ ما تُهَوِّنُ به علَيْنا مَصائبَ الدُّنيا»[13]، وعن أبي يزيد المدايني قال: كان من دعاء أبي بكرٍ الصديق: اللهم هب لي إيماناً ويقيناً ومعافاة ونية[14].

من خلال ما سبق، يتبين أن التربية على اليقين في الله تعالى سمة ضرورية للدعاة، حتى تكتمل العقيدة الدينية في نفوسهم، فتطمئن قلوبهم إلى ما قدره الله تعالى، وتشتاق إلى ما أعده لهم، فتهون عليهم المصاعب، وتتصاغر أمام أعينهم الشهوات والرغائب.

إن الداعية الذي ملأ اليقين قلبه يتمتع بالثقة الكاملة في ربه، والقوة في نفسه، والعزيمة والهمة في عمله، فلا يهادن أحداً في الحقوق والواجبات، ولا ينازع على المنصب والجاه، ثم هو يؤمن أن الحق منصور، والباطل مهزوم، فلا ييأس أو يتخاذل عن أي جهد يبذله في سبيل دينه ودعوته، حتى يصل إلى غايته ويحقق هدفه. ■

الداعية الذي ملأ اليقين قلبه يتمتع بالثقة الكاملة في ربه والقوة في نفسه والعزيمة والهمة في عمله

الهوامش

(١) التعريفات، الجرجاني (٢٥٩).
(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، ابن قيم الجوزية (١/ ٢٩).
(٣) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية (١/ ٤٣٦).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٢٤).
(٥) الرسالة: القشيري، ص ٣٢٢.
(٦) مدارج السالكين (٢/ ١٥٣).
(٧) أخرجه البخاري (٤٠٤٧).
(٨) أخرجه البخاري (٣٥٩٥)، ومسلم (١٠١٦).
(٩) راجع كتاب: المبشرات بانتصار الإسلام، د. يوسف القرضاوي.
(١٠) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٤/ ٣٣٧).
(١١) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، أبو بكر المالكي (٢/ ٣٩٨)، وانظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض (٦/ ٣٦).
(١٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر (١٦/ ١٩٨).
(١٣) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢)، والنسائي (١٠٢٣٤).
(١٤) حياة الصحابة، الكاندهلوي، (٣/ ١٨٦)، وانظر: كنز العمال (٢/ ٦٧٢).

رحيل الشيخ أبي إسحاق الحويني.. وداعاً لعالِم الحديث

كتب – المحرر المحلي:

فقدت الأمة الإسلامية أحد أبرز علمائها الشيخ المحدث أبا إسحاق الحويني، الذي قضى عمره في خدمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشر علوم الشريعة، وبوفاته، تودّع الأمة رجلاً أفنى حياته بين الكتب والمخطوطات، مدافعاً عن السُّنة، ناشراً للعلم، موجّهاً للأمة.

رحل الشيخ بعد صراع مع المرض عن عمر ناهز ٦٩ عاماً، لكنه تَرك إرثاً علمياً ثرياً، وتلاميذ يحملون لواءه، ومؤلفات تحيي سيرته، ودروساً ستظل نبراساً لمن يريد أن يسلك طريق العلم الشرعي.

من هو الشيخ أبو إسحاق الحويني؟

اسمه حجازي محمد يوسف شريف، ولد بقرية حُوَين في محافظة كفر الشيخ شمالي مصر، وتخصص في علم الحديث والسُّنة النبوية.

وقد بدأ الشيخ الراحل مسيرته العلمية مبكراً، حيث انتقل إلى القاهرة في المرحلة الثانوية لحضور دروس الشيخ عبدالحميد كشك يرحمه الله، ثم التحق بقسم اللغة الإسبانية في كلية الألسن بجامعة عين شمس.

لكن شغفه بالحديث دفعه للتفرغ لدراسة كتب الإمام الألباني، ليصبح أحد أبرز المحدّثين في عصره، وأحد المدافعين عن منهج السلف الصالح.

إرث علمي خالد.. وعطاء لا ينقطع

لم يكن الشيخ أبو إسحاق مجرد محاضر أو واعظ، بل كان مدرسة متكاملة في علم الحديث، فقد قدَّم العديد من المشاريع والمؤلفات والتحقيقات، منها ما طُبع ومنها ما هو مخطوط، ومن أشهرها: «تحقيق سنن ابن ماجه»، «تحقيق الأربعين الكبرى للبيهقي»، «غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود»، ومؤلفات وتحقيقات حديثية أصبحت مراجع للباحثين في السُّنة النبوية.

إلى جانب محاضرات وبرامج تلفزيونية ساهمت في نشر علم الحديث للعامة والخاصة، ودروس في المساجد والملتقيات العلمية، كان لها أثر كبير في تصحيح المفاهيم الحديثية والفقهية.

نعي العلماء والمؤسسات الإسلامية:

أحدث خبر وفاته حزناً عميقاً في الأوساط العلمية والدعوية، حيث نعاه عدد كبير من المؤسسات الإسلامية والعلماء، منها هيئة علماء فلسطين، حيث نعته بقولها: ننعى إلى الأمة الإسلامية العالم المحدّث المربي، الشيخ أبا إسحاق الحوِيني، الذي قضى حياته في خدمة السُّنة النبوية.

ونعت جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت الشيخ الحويني، وقالت، في بيان لها: تنعى جمعية الإصلاح الاجتماعي إلى الأمة العربية والإسلامية وفاة الشيخ المحدّث أبا إسحاق الحويني يرحمه الله، سائلين المولى عز وجل أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته، ويلهم أهله وذويه جميل الصبر وحسن العزاء.

كما نعت مجلة «المجتمع» الشيخ الحويني، وقالت، في بيان لها: بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره، نودّع العالم المحدث الشيخ أبا إسحاق الحويني، الذي رحل بجسده لكن علمه سيبقى نوراً يضيء درب طلاب الحديث وأهل السُّنة.

وأضافت: لقد كان الشيخ الحويني حارساً على السُّنة، غيوراً على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومجاهداً بالكلمة والبحث والتدقيق، أفنى عمره في نشر العلم وتخريج الأحاديث، وبذل جهده في تصحيح المفاهيم والرد على الشبهات، فكان بحق منارة علمية ومصدراً للإلهام لكل من سار على درب الحديث.

وفاته:

وتُوفي الحويني في الدوحة، مساء يوم الإثنين ١٧ رمضان ١٤٤٦هـ/ ١٧ مارس ٢٠٢٥م، عن عمر ناهز ٧٠ عاماً، إثر وعكة صحِّية استدعت نقله إلى المستشفى، وأعلن نجلُه حاتم الحويني في حسابه الرسمي على «فيسبوك» نبأ الوفاة بكلمات مؤثِّرة.

وصلِّي عليه صلاة الجنازة الشيخ أحمد عيسى المعصراوي، شيخ المقارئ المصرية السابق، عقب صلاة عصر اليوم التالي الثلاثاء، في جامع الإمام محمد بن عبدالوهاب في الدوحة، ودُفن بمقبرة مسيمير في قطر■

المدرّب المتألّق (15)

الألعاب والأشكال المجسمة.. وسيلة تدريبية فعالة في تثبيت المفاهيم

د. موسى المزيدي
مدرب معتمد في المهارات الإدارية والقيادية

نستكمل في هذا المقال عرض وسائل التدريب الآسرة للمتدربين، والجاذبة لانتباههم، التي يجب أن يحرص عليها المدرب المتألق؛ لنجاح دورته التدريبية.

- الألعاب والأشكال المجسمة:

تعد الألعاب والأشكال المجسمة من أفضل الإبداعات والوسائل المهمة في تثبيت المفاهيم الإدارية والقيادية في أذهان المتدربين.

مثال (١): في إحدى الدورات التدريبية في أكاديمية إعداد القادة بجمعية المعلمين الكويتية، بتاريخ ١٨ نوفمبر ٢٠١٩م، وكانت بعنوان «بناء فريق العمل الناجح»، قمنا بتقسيم المتدربين إلى ٥ فرق عملية، ووضعنا ظرفاً به ٩ أشكال هندسية متنوعة قبالة كل فريق، وطلبنا من كل فريق تشكيل ٣ مربعات متساوية؛ ولكن بصمت مطبق من دون كلام سوى استعمال إشارات اليد.

وبدأنا نراقب كل فريق في كيفية التصرف من أجل تحقيق الهدف.

أنهت بعض الفرق المهمة بنجاح، وتعثرت فرق أخرى؛ فبادرنا وقدمنا لهم المساعدة في إنجاز الهدف، وفشل فريق واحد في إنجاز هدفه.

طلبنا من كل فريق ناجح أن يعطينا بعض أسباب نجاحه، فكان أقوى سبب هو النجاح في اختيار قائد للفريق، ومن أسباب النجاح التي طرحت للنقاش، تجزئة الهدف العام إلى ٣ أهداف صغيرة، وذلك بعدد المربعات المراد تشكيلها، ومن ثمّ قيام القائد بتوزيع هذه الأهداف الصغيرة إلى أشخاص تم اختيارهم برضا الفريق، ومن ثمّ متابعة قائد الفريق لسير العمل، وتوجيهه لهم ودعمهم في تحقيق الهدف العام.

ثم طلبنا من الفرق المتعثرة معرفة أسباب التعثر، فكانت بعض أسباب التعثر استحواذ بعض الأفراد على إنجاز الهدف، وعدم التعاون مع غيرهم في ذلك، وعدم حسم القائد الخلاف بين الأفراد في الوصول إلى الهدف العام.

ثم طلبنا من الفريق الذي فشل في الوصول إلى تحقيق الهدف معرفة أسباب فشله، فكان أقوى سببين هما الفشل في اختيار قائد للفريق، وعدم وضوح الهدف المراد تحقيقه.

إن على المدرب أن يدرك أن فريقاً بلا قائد فريق فاشل، وأن فريقاً بلا هدف فريق فاشل، وأن فريقاً بلا تآزر وتعاون بين أعضائه في تحقيق الهدف فريق فاشل، وأن فريقاً بلا تفويض في إنجاز الهدف فريق فاشل، وأن فريقاً بعيداً عن قائده في إنجاز هدفه فريق فاشل، وأن فريقاً لا يكافأ أفراده على إنجاز عملهم فريق فاشل.

مثال (٢): في إحدى الدورات التدريبية للقطاع النفطي، وكانت بعنوان «التفكير الإستراتيجي من أجل نجاح مستقبلي»، تم توزيع أرقام عشوائية على المتدربين، وكان عددها ٢٥ رقماً، حيث تم توزيعها

الألعاب والأشكال المجسمة من الوسائل المهمة في تثبيت المفاهيم القيادية بأذهان المتدربين

في مربع يسع ٢٥ رقماً، وطلب من المتدربين البحث عن أقصر طريق إستراتيجي يصل بين نقطتين محددتين في المربع، والفائز هو من يحصل على أدنى مجموع للأرقام، واشترطنا على المتدربين أن يكون مسار الطريق إما أفقياً أو عمودياً.

لذلك، نخلص إلى أن المدرب المتألق هو الذي يبحث عن طرق مسلية في تثبيت المفاهيم في أذهان المتدربين.

مثال (٣): في إحدى الدورات التدريبية لمركز خدمة المجتمع والتعليم المستمر بجامعة الكويت، بتاريخ ١٦ يناير ٢٠٢٢م، وكانت بعنوان «بناء الفريق الناجح»، تم توزيع ٦ علب على ٦ فرق تدريبية، وكان في داخل كل علبة ٤ قطع مجسمة، وطلب من كل فريق تركيب مجسم واحد على هيئة هرم.

كان الأمر يتطلب تعاوناً من جميع أعضاء الفريق لتشكيل المجسم الهرمي، وجاءت النتائج مخيبة للآمال، وتم مناقشة النتائج والوصول إلى حقيقة ناصعة؛ وهي أن فشل الفريق في تحقيق هدفه قد يكون بسبب عدم تناغم أفراده.

مثال (٤): في إحدى الدورات التدريبية لشركة الأولوية في بيع السيارات، تم توزيع ٥ أشكال هندسية متنوعة، وقد كتب على واحد منها كلمة «عقد الصفقة»، وطلب من المتدربين تشكيل مربع واحد يشمل تلك القطعة، التي من دونها لا توجد صفقة بيعية، وتفشل العملية.

واستطاع المتدربون بعد جهد كبير تشكيل مربع صحيح؛ ولكن من دون قطعة «عقد الصفقة»، فقلنا لهم: هذه عملية فاشلة رغم الجهد المبذول فيها، وقد أردنا من هذا التمرين التأكيد على أن الجهد المبذول في أي عملية بيعية إذا لم ينتهِ بعقد صفقة فهو فاشل.

مثال (٥): في إحدى الدورات لإدارة التنمية الأسرية التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بتاريخ ١١ مارس ٢٠١٩م، وكانت بعنوان «كيف تحفز الآخرين بلا تكلفة؟»، أردنا توصيل مفهوم للمتدربين وهو أنه بإمكانك أيها المتدرب تحقيق أي هدف صعب، ما دام غيرك استطاع تحقيقه.

حيث أخرجنا للمتدربين ٣ حبال مختلفة الأطوال، أحدها قصير، والثاني متوسط الطول، والثالث طويل، ثم سألنا المتدربين: هل يمكن جعل هذه الحبال الثلاثة متساوية في الطول دون قطعها؟ فأجاب الجميع: بالطبع لا.

هنا اتبعنا حيلة، وجعلنا الحبال الثلاثة في يد واحدة، وجعلنا نهايات أطرافها الستة تظهر من ناحية واحدة، ثم بخفة يد، جعلنا الحبل القصير يمر من خلال الحبل الطويل، وسحبنا الأطراف الستة من جهة اليد أمام المتدربين، فبدت الحبال متساوية في الطول، فاندهش المتدربون للأمر!

وعليه، يدرك المدرب أن أي هدف مهما كان صعباً يمكن تحقيقه إذا استطاع غيره أن يحققه، ويوصل ذلك لمتدربيه.

وختم المدرب المتألق هذه اللعبة بمثال حي من وحي الواقع، وذكّر المتدربين بالجدار الفاصل الذي تم بناؤه في برلين بألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، وكان يظن الألمان آلا سبيل إلى تحطيمه، حتى قرر الألمان تحطيمه بتاريخ ٩ نوفمبر ١٩٨٩م، ونجحوا في ذلك.

ثم قالم المدرب بربط ذلك بواقعنا المعاصر، وذكّرهم بالجدار الفاصل بين قطاع غزة في فلسطين والكيان الصهيوني، وكان أهل غزة يظنون باستحالة تحطيمه، فقال المدرب: إذا استطاع غيرنا تحطيم جدارهم الفاصل، فنحن نستطيع ذلك، ولعل اختراق ذلك الجدار بتاريخ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م، من قبل المقاومة الفلسطينية، هو بداية تحقيق حلم تحطيم ذلك الجدار العنصري.

مثال (٦): في إحدى الدورات التدريبية لبيت التمويل الكويتي، وكانت بعنوان «إدارة الأفراد»، تم تجهيز ٣ أوانٍ زجاجية، وطُلب من كل متدرب أن يكتب في ورقة سلوكاً إدارياً يعانيه، وتم وضع الأوراق جميعها في الإناء الأول.

المدرب المتألق هو الذي يبحث عن طرق مسلية في تثبيت المفاهيم في أذهان المتدربين

ثم طُلب من كل متدرب أن يكتب في ورقة ثانية حلاً اعتيادياً في معالجة ذلك السلوك، وتم وضع الأوراق جميعها في الإناء الثاني.

ثم طُلب من كل متدرب أن يكتب في ورقة ثالثة حلاً مبتكراً غير اعتيادي في معالجة ذلك السلوك، وتم وضع الأوراق جميعها في الإناء الثالث.

ثم طُلب من أحد المتطوعين أن يسحب ورقة من الإناء الأول ويجهر بقراءتها، ثم يسحب ورقة من الإناء الثاني ويجهر بقراءة الحل الاعتيادي المكتوب فيها، ثم يسحب ورقة من الإناء الثالث ويجهر بقراءة الحل المبتكر، وقد تتوافق الحلول وتعطي أفكاراً متميزة، وقد تختلف الحلول فيضحك المتدربون من غرابتها!

مثال (٧): في إحدى الدورات التدريبية وكانت بعنوان «إعداد قياديي المستقبل»، بتاريخ ١٧ يناير ٢٠١٠م، وقد عقدت لوزارة التربية في الكويت، تم توزيع لعبة بعنوان «اكتشف الفرق بين صورتين متشابهتين»، حيث يوجد ٤ فروق يصعب رؤيتها للوهلة الأولى، ولكن مع التركيز يمكن اكتشافها، وتهدف هذه اللعبة إلى التأمل في الوضع الحالي للأفراد قبل اتخاذ القرار بإحداث التغيير فيهم.

نصل في نهاية هذا الأسلوب المهم في تقديم الدورة إلى أن المدرب المتألق هو الذي يستعمل الألعاب، والأشكال المجسمة في توصيل أفكار الدورة التدريبية للمتدربين وتثبيتها في أذهانهم.■

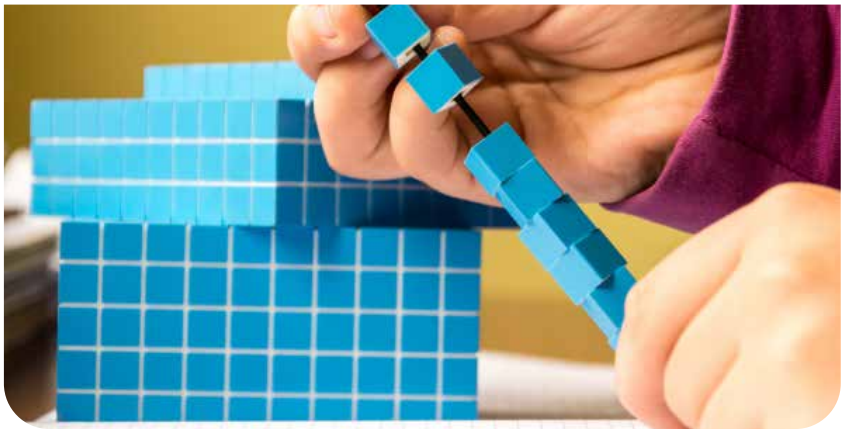

ولدي يكذب!

د. يحيى عثمان
استشاري تربوي وعلاقات أسرية
مستشار البحوث بمجلس الوزراء سابقاً
y3thman1@hotmail.com

د. يحيى، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أكتب إليكم وقد أعيتني الحيل وضقت ذرعاً من كذب أولادي، فأنا أم لولدين؛ أحدهما يبلغ ١١ عاماً، والآخر ٩ أعوام، وابنة ٦ سنوات، الحمد لله زوجي رجل مصلٍ وعلى خلق، لكن أحياناً على سبيل المزاح يفتعل حدثاً على غير الحقيقة ليضفي شعوراً من البهجة والمرح بالمنزل، ويحرص على أداء الصلاة بالمسجد بصحبة الأولاد.

مشكلتنا هي كذب الولدين، حتى البنت الصغيرة تعلمت منهما الكذب، وأحياناً لا يقتضي الأمر؛ فهم يكذبون للكذب، أنا أعلم أنها آفة خطيرة، وقد حاولت أنا ووالدهم بالعقاب حتى البدني، ولكن للأسف ليس هناك أي استجابة، فقدت الثقة فيهم، وأصبحت أشك في كل قول أو فعل، وأظل أحقق وأبحث حتى أصل إلى الحقيقة، جلسات التحقيق والاستجواب أصبحت نمط حياتنا، هل من نصيحة؟

التحليل:

حذرنا المولى عز وجل من الكذب، ولم يأمرنا بالصدق فقط، بل وأن نكون من الصادقين، الصدق من أعظم القيم الأخلاقية التي دعا إليها الإسلام، فهو أساس الفضائل ومفتاح الخير، وله مكانة عظيمة في القرآن الكريم، وقد وصف الله جل شأنه قوله بالصدق: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (آل عمران: ١٧)،﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٨٧)، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (النساء: ١٢٢)، ﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (المائدة: ١١٩)، ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(الزمر: ٣٣).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الصِّدقَ يَهدي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهدي إلى الجنَّةِ، وإنَّ الرَّجلَ ليصدُقُ حتَّى يُكتَبَ عندَ اللهِ صدِّيقاً، وإنَّ الكذبَ يَهدي إلى الفُجورِ، وإنَّ الفُجورَ يَهدي إلى النَّارِ، وإنَّ الرَّجلَ ليكذِبُ حتَّى يُكتَبَ عندَ اللهِ كذَّاباً».

كذب الأولاد هو تصرف يقوم به الأطفال عندما يختلقون أو يشوّهون الحقيقة، وغالباً ما يكون بهدف تحقيق غرض معين، مثل تجنب العقاب أو كسب الاهتمام أو الحصول على شيء يرغبون به، وأنواع كذب الأطفال كثيرة، ولكن أهمها:

١- الكذب الخيالي: يحدث عندما يستخدم الطفل خياله لخلق قصص غير حقيقية، وغالباً يكون في الأطفال الصغار الذين لا يميزون بين الواقع والخيال.

العلاج: لا حرج ولا قيمة سلبية لأن يعبر الطفل عن خياله ومزجه بالواقع، ولكن بعد الثالثة تقريباً وعندما ينمو إدراك الطفل ببيئته، هنا يجب تصحيح حديثه وتعريفه ليتبين الفرق بين ما يتخيله والواقع دون زجره وتعنيفه، بل يجب أن يعاد صياغة حديث الطفل بحقيقة الواقع دون تكرار ما قاله من خياله.

٢- الكذب الدفاعي: يحدث لتجنب العقاب أو الاعتراف بخطأ، قد يبالغ الوالدان في التهديد بالعقاب، ظناً منهما أن تغليظ العقوبة يحول بين الأولاد وفعل الخطأ، ولكن من الطبيعي أن يُخطئ الأولاد، ولكن الخوف من شدة العقاب تدفعهم للكذب.

العلاج: العقاب إحدى أدوات التربية، **ولكن يجب مراعاة:**

- لا عقاب قبل توليد القناعات لدى الأولاد

يجب تعريف الأولاد بحسب إدراكاتهم العقلية إثم الكذب

على الوالدين تجنب وضع الأولاد في مواقف تدفعهم للكذب

ضرورة تشجيع الأولاد على الصدق بل ومكافأتهم عليه

بأهمية فعل (نظافة وتنظيم حجرته) / عدم فعل الكذب.

- مشاركة الأولاد في أسلوب العقاب الذي يجب أن يكون متدرجاً.

- الفصل الكامل بين العقاب والعلاقة الوجدانية مع الولد المعاقَب؛ أي يجب ألا ينعكس خطؤه على إحساسه بحبنا له، بل على سلوكه فقط.

- تطبيق الآية القرآنية: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود: ١١٤).

٣- الكذب للحصول على مكاسب: يستخدمه الأولاد لتحقيق هدف معين، مثل الحصول على شيء يريدونه.

العلاج: يجب تربوياً ألا يُستجاب لكل مطالب الأولاد حتى ولو كان لدى الوالدين القدرة على تلبية طلبات أولادهما، حتى يتعود الأولاد على ضبط احتياجاتهم، كذلك تدريبهم على الصبر لكبح شدة رغباتهم، وإدراك قبس من نِعَم ربنا عليهم، ويجب تذكرهم بذلك وتدريبهم عليه وتعليل لماذا المنع؟ فإذا اقتنعوا بأن المنع لمصلحتهم لم يلجؤوا إلى الكذب لتلبية رغباتهم.

٤- الكذب بهدف جذب الانتباه: يحدث عندما يشعر الطفل بالإهمال ويريد لفت النظر إليه.

العلاج: إن نمو ورعاية الصحة النفسية للأولاد لا تقل عن الاهتمام بالصحة البدنية، يجب أن يحرص الوالدان على النمو والرعاية الوجدانية للأولاد، إن التعبير عن حب الأولاد من خلال الكلام الطيب والإشادة والتقدير والحضن والتقبيل ومصاحبتهم وقضاء وقت مناسب معهم بناء على قدراتهم الإدراكية واحتياجاتهم النفسية سواء باللعب أو بمناقشتهم في مستقبلهم وما يهمهم من موضوعات؛ مما يبعث الثقة في نفوسهم، ويفتح قنوات التفاعل بينهم وبين الوالدين، ويبني ثقتهم بأنفسهم؛ فلا يلجؤون إلى الكذب للفت الاهتمام بهم.

٥- الكذب الانتقامي: قد يستخدمه الطفل للإضرار بشخص آخر بسبب شعوره بالغضب أو الظلم؛ مما قد يحدث ذلك النوع من الكذب عادة بين الأولاد الذين يغارون من بعضهم بعضاً، أو عندما يشعر أحد الأولاد بأن أخاه متميز عند والديه، فيحاول الانتقام منه بتلفيق خطأ له حتى يسقط تميزه عند والديه.

العلاج: إن العدل بين الأولاد فرض إلهي لما له من خير كبير في الدارين، ولعل من ثمار ذلك حب الأولاد لإخوتهم، كما أن مكافأتهم جميعاً إذا أحسن أحدهم، ومكافأة من يحسن لإخوانه، وغيره الكثير من الواجبات التي يجب أن يحرص عليها الوالدان لتعميق حب الأولاد لإخوتهم.

٦- الكذب التقليدي: عندما يكتسب الطفل هذا السلوك من البيئة المحيطة، مثل الأصدقاء أو الأسرة، لعل هذا من أخطر وأكثر الأسباب لكذب الأولاد.

العلاج: يتحمل -والله هو العليم- الوالدان إثماً مضاعفاً بالكذب أمام الأولاد؛ إثم كذبهما وآثام كذب الأولاد، بتعودهما على الكذب؛ حيث إن الأولاد يفعلون ما نفعل، ولا يفعلون ما نأمرهم به، فسلوك الوالدين هو أول، بل وأهم مصادر التلقي التربوي، كما أن الأولاد لا يفرّقون بين كذب الهزل وكذب الجد، وكما هو معروف من الدين بالضرورة أن الكذب كذب في كل الأحوال هزلاً أو جداً، ولا يوجد كذب أبيض وكذب أسود! «كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا صدقاً».

ويجب تعريف الأولاد بحسب إدراكاتهم العقلية إثم الكذب، ففي مرحلة الطفولة «الله يحب الصادق»، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يوصف بـ«الصادق الأمين»، ثم من النمو الإدراكي للأولاد نرتقي بمستوى إيمانهم بقيمة وأثر الصدق في حياة المسلم، وكذا آفة الكذب وسلبياته، كما أُوصي باستخدام القصص التربوية في مرحلة الصبا.

ماذا تفعل الأم لعلاج كذب أولادها؟

بالإضافة إلى ما سبق عليها وزوجها ما يلي:

- **التوبة:** التوبة إلى الله تعالى عما ارتكبه الوالد من آثام نتيجة مزاحه بالكذب وإعطائه نموذجاً سيئاً لأولاده، وكذلك الأم التي سكتت عن هذا الإثم العظيم، وتعتبر مُشارِكة له بعدم اتخاذها موقفاً حازماً تجاه زوجها وما اقترفه من آثام.

- **القدوة:** من المهم إعادة صياغة القدوة الحسنة، ولا حرج، بل يجب على الأب الاعتراف بخطئه أمام الأولاد، وأن يستغفر أمامهم، ويتعاهدوا جميعاً بالصدق.

برنامج تأهيلي للأولاد:

- التثقيف الشرعي بقيمة الصدق.

- تشجيع الأولاد على كتابة بعض الآيات والأحاديث التي تحث على الصدق **وتذم الكذب.**

- تشجيع الأولاد على الصدق، وضبط الغيظ لخطئهم، بل ومكافأتهم لصدقهم.

- تجنب وضع الأولاد في مواقف تدفعهم للكذب، لا تسأل الطفل أسئلة تجعله يشعر أنه مضطر للكذب، مثل: «هل صليت؟» إذا كنت تعرف الجواب مسبقاً.

- **التدرج في العلاج:** كوني صبورة، ولا تتوقعي تغيير السلوك بسرعة، استخدمي الحوار والإرشاد المستمر.■

ما تبقى من رمضان في قلبي خالد وحنان!

سيناريو: أمين حميد
رسوم: عصام الشرقاوي

لم تسَع الفرحة خالداً عندما أشرق صباح العيد.. حيث لبس ملابسه الجديدة وتطيب بأجمل الأطياب، ثم انطلق مسرعاً إلى غرفة أخته حنان.. وصرخ بأعلى صوته: هيييي.. وأخيراً انتهى رمضان والجوع والعطش والسهر وجاء العيد بكل أفراحه ومباهجه..

هيا بنا نسرع برفقة والدينا إلى مصلى العيد.

قطبت حنان جبينها، وقالت لأخيها بصوت يملأه العتب:

وهل كان رمضان ثقيلاً عليك إلى هذا الحد؟!

هل كان رمضان بالنسبة لك إلا مجرد جوع وعطش وسهر وتعب!

قال خالد: ماذا تقصدين بقولك: بالنسبة لك؟

وماذا هو بالنسبة لك يا أختي العزيزة؟

عدلت حنان من جلستها وقالت لأخيها: إن لم تكن قد عرفت أسرار الصيام ودروس رمضان في رمضان فتعال أوضحها لك حتى نعيش أخلاق رمضان في سائر الأيام.

جلس خالد وقال لأخته: كلي آذان مصغية.. هاتي ما عندك واختصري حتى لا نفوت موعد صلاة العيد.

قالت حنان: لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم.

ملأت الدهشة عيني خالد وقال: يا إلهي، هذا يعني أن رمضان حاضر في قلوبهم وعقولهم طوال العام!

قالت حنان: نعم.. هو كذلك كان عندهم وكذلك ينبغي أن

يكون عندنا.. وذلك لأنهم قدوتنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب: ٢١).

قال خالد: وكيف نصنع إذا أردنا أن نكون مثل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التعامل مع رمضان؟

قالت حنان: نبحث في كتاب الله عن آيات الصيام ونرى ما هي الغايات التي جعلها الله للصيام فنتحقق بها.. ثم نطالع سُنته عليه الصلاة والسلام ونرى ما الأخلاق التي ينبغي أن يتخلق بها الصائم فنحرص قدر ما نستطيع أن نتمثلها في حياتنا طوال العام.

قال خالد: أبرز غاية للصيام هي التقوى كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣).. فكيف نمارس التقوى في حياتنا اليومية طوال العالم؟

قالت حنان: باختصار شديد، التقوى أن نلتزم أوامر الله، وأن نجتنب نواهيه.

قال خالد: وهذا يعني أن نكون على علم بهذه الأوامر والنواهي.

قالت حنان: ولهذا يجب علينا ألا نفوت حضور حلقات العلم، سواء التي يقيمها أبي في البيت أو تلك التي تقام في المساجد.

قال خالد: لقد حفزتني للالتحاق بحلقة تحفيظ القرآن الكريم الموجودة في مسجد حينا.. ففيها يتعلم أصدقائي القرآن الكريم والسُّنة النبوية.

قالت حنان: وهذا الذي تسمعه مني هو من فوائد التحاقي بحلقة التحفيظ التي وجدت في الالتحاق بها الخيرية التي ذكرها رسولنا الحبيب عليه الصلاة والسلام في قوله: «خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ» (صحيح البخاري).

■

مواكب الفاتحين

د. يوسف السند
إمام وخطيب بـــوزارة الأوقـــاف والشؤون الإسلاميـــة بالكـــويت

إن القيام بواجب الجهاد وتبليغ دعوة الإسلام والسعي إلى الفوز بإحدى الحسنيين؛ إما النصر وإما الشهادة، هي الأهداف الحقيقية التي دفعت المسلمين لتحقيق أعظم وأرحم حركة فتح لبقاع الأرض في التاريخ.

وفي الفتوحات الإسلامية نرى فن قيادة الجيش المسلم، كما نرى البُعد الرسالي والإيماني للفتوحات الإسلامية، بل نرى ذلك الانضباط والطاعة في مسير الفاتحين.

وبدأ موكب الفاتحين في يوم الفرقان يوم التقى الجمعان يوم «بدر» الكبرى صبيحة ١٧ رمضان من السنة الثانية الهجرية؛ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(آل عمران ١٢٣).

ويستمر المسير في موكب الفاتحين إلى «فتح مكة» في السنة الثامنة من الهجرة وفي العشرين من شهر رمضان.

ويتحرك موكب الفاتحين بقيادة المثنى بن حارثة إلى البويب بالقرب من مدينة الكوفة؛ فينتصر المسلمون في معركة «البويب»؛ حيث جددت هذه المعركة مسيرة المسلمين في حربهم مع الإمبراطورية الفارسية.

وفي السنة الثانية والتسعين من الهجرة النبوية، يتوجه موكب الفاتحين إلى بلاد السند بقيادة القائد الشاب الفذ محمد بن القاسم، وكان في السابعة عشرة من عمره؛ فخضعت السند للخلافة الإسلامية.

وفي السنة الثانية والتسعين للهجرة، تمدد موكب الإسلام إلى أوروبا حيث رحلة الجلال والجمال وكان الفتح بقيادة طارق بن زياد، وموسى بن نصير، وبذلك بدأ العصر الإسلامي في الأندلس؛ فارتفعت منارة الإسلام في أوروبا، وامتدت تلك الفترة إلى ثمانية قرون.

وفي رمضان ٥٨٣هـ، قاد صلاح الدين الأيوبي معركة «حطين» لكسر شوكة الصليبيين في أرض الشام؛ فكانت حطين البوابة الأوسع لتحرير المسجد الأقصى المبارك وإنهاء مأساته التي استمرت تسعين عاماً!

«سار عمر من الجابية حتى وصل إلى مدينة القدس، هو وغلامه يتبادلان الركوب على الجمل، ودخل عمر القدس وهو يمشي على قدميه وغلامه راكب! ويذكر أنه شارك معه في فتح القدس ٤ آلاف من الصحابة، وهي المدينة الوحيدة التي استلم الخليفة عمر مفاتيحها بنفسه» (محسن محمد صالح، الطريق إلى القدس).

وتستمر مواكب الفاتحين قوة وعزة ونشراً لدعوة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

وتأديباً وصداً للعدوان الذي اجتاح العالم الإسلامي عن طريق التتار، حيث انتصر المسلمون بقيادة السلطان المملوكي سيف الدين قطز على جيش التتار المغولي بزعامة هولاكو في معركة «عين جالوت»، في ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ.

ومع الإيمان القوي والعزم الفتي والإصرار على الجهاد في سبيل الله، ومقارعة العدو لن تتوقف مواكب المنتصرين الفاتحين.

وما انتصار غزة ببعيد، إذ فضحت غزة طغيان الصهاينة وحلفائهم، فأملى المجاهدون الفلسطينيون شروطهم وركّعوا وأذلوا عدوهم وحرروا أسراهم؛ حيث حُرّرت تسعون امرأة عربية مسلمة.

وخرج وما زالوا مؤيدين للقضية الفلسطينية ومقدرين لجهاد الفلسطينيين وصبرهم وتحملهم، بل وإن كثيراً من قادة الغرب ورجال السياسة بدؤوا بالتخلي عن مناصرة الصهاينة، وهذا أحد مؤشرات سقوط الكيان الصهيوني المحتل، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، والله أكبر ولله الحمد.

ونشبت معارك انتصر فيها المسلمون من أهمها معركة «اليرموك» في المنطقة التي تشملها الأردن اليوم، أدت هذه المعركة إلى زوال الحكم البيزنطي، وقد تولى هذه المعارك كل من خالد بن الوليد، وأبو عبيدة بن الجراح، ويزيد بن معاوية، رضي الله عنهم.

عن نافع بن عتبة رضي الله عنه، عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله» (رواه مسلم)؛ أي تقاتلون الدجال، فيجعله الله مقهوراً مغلوباً!

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين.

والحمد لله رب العالمين. ■

جمعية التكافل
Altakaful Association
لرعاية السجناء

أهل الديرة متكافلين

مشروع
وقف الغارمين

قيمة وقف الغارمين:

300 د.ك

للسهم الواحد

تبرع بسهم..

ليكون لك نصيب دائم
في تفريج هـمّ مكروب،
وسداد دين محتاج

IBAN No.: KW39KFHO0000000000011010921771

24834414 94064060 @Takaful.Association

www.altkaful.com info@altkaful.com @altkaful

ع ت ج د 9/ت ج د 2/2025

نماء الخيرية
NAMAA CHARITY
جمعية الإصلاح الاجتماعي
التآخي
للأسر والأيتام
كل أسرة بالكويت
تكفل أسرة بغزة
كفالة
يتيم شهر
25
د.ك
كفالة
أسرة شهر
65
د.ك
ترخيص رقم: ج/1/ ك خ / 1 / 2025
تاريخ بداية الترخيص 2025/1/4 لـ 2025/12/31 - يمنع الجمع النقدي
1888833
نهتم بالإنسان